

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة -

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية



فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب "رسالة مروان
لابنه" أنموذجا (دراسة أسلوبية)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب عربي قديم

إشراف الدكتور :

الياس مستاري

إعداد الطالب :

صبرينة قرمة

السنة الجامعية :

1436/1435 هـ

2015/2014 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

اتخذ الإنسان الكتابة منذ أن عرفها وسيلة للتدوين والتوثيق والمراسلات وقد وجدت المراسلات في مختلف العصور، وتعد من فنون الكتابة المهمة التي تحظى بدور مهم في تواصل الناس وحفظ حقوقهم والتعبير عن حوائجهم.

وقد استطاع عبد الحميد بن يحيى الكاتب تحديد ملامح فن الترسل، وثبتت خصائصه، إذ جعل منه فنا قائم بذاته، فكان أول من شق طريقه وسهل طريقه واتبعه المترسلون بعده، فقد تفنن وأبدع في رسائله التي تميزت بمستواها الفني الرفيع الذي أصبح مثال يحتذى به، ومن أهم رسائله رسالة مروان لابنه عبد الله، ولعل هذا ما يجعلنا نطرح عدة تساؤلات :

بما امتاز الترسل عند عبد الحميد الكاتب؟ وما هي أبرز السمات الأسلوبية في رسالة مروان لابنه؟

و قد تم اختيارنا لهذه الرسالة لأنها النموذج المثالي لفن الترسل في العصر الأموي، حيث شملت العديد من السمات الأسلوبية التي تعكس بوضوح المستوى الإبداعي أما السبب الثاني الذي أدى بنا إلى اختيار هذا الموضوع، هو محاولة إثراء الدراسات الحديثة حول النثر العربي القديم، ولو بدراسة متواضعة

وقد قامت خطة بحثنا الموسوم بـ: "فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب رسالة مروان لابنه أنموذجا دراسة أسلوبية" على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

فانطلقنا في بحثنا بمدخل معنون بـ "النثر الفني عند العرب" وقد سلطنا فيه الضوء على تحديد مفهومه لغة واصطلاحا ثم انتقلنا فيه إلى تطوره من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي.

أما الفصل الأول الذي وسم ب"فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب" فقد قسمناه
مبحثين وكل مبحث يندرج تحته مطلبين، فالمطلب الأول جاء بمفهوم الترسل لغة
و اصطلاحا، أما المطلب الثاني ففيه أنواع الترسل من ترسل ديواني وترسل إخواني.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد تحدثنا فيه عن الكتابة الفنية عند عبد
الحميد الكاتب وهو أيضا تضمن مطلبين المطلب الأول تناولنا فيه أسلوب عبد الحميد
الكاتب من الإطناب والازدواج، والمطلب الثاني ذكرنا فيه أهم رسائل عبد الحميد الكاتب
والمتمثلة في رسالته إلى الكتاب، ورسالته مفردات في الشطرنج

أما الفصل الثاني التطبيقي فقد سعينا فيه إلى إبراز أهم السمات الأسلوبية
للرسالة من خلال دراستنا الأسلوبية لها، لذلك ارتأينا التمهيد للدراسة الأسلوبية بتوطئة
يليه تعريف الأسلوب لغة و اصطلاحا، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى مستويات التحليل
الأسلوبي لقد ابتدأنا أولا بالمستوى الصوتي ركزنا فيه عن تكرار بعض الحروف البارزة في
الرسالة وأشرنا إلى دلالة كل حرف وعلاقته بالنص والمؤلف، ثم انتقلنا إلى دلالة الحروف
في الكلمات وهذا ما جسده المحسنات البديعية من سجع وجناس إذ ساهمت في خلق
الإيقاع الموسيقي للنص.

ثم يليه ثانيا المستوى التركيبي الذي قمنا فيه بدراسة تراكيب الجمل الاسمية
والفعلية مع الإشارة إلى دلالة استعمالهما في نص الرسالة، وكذلك دراسة التراكيب
الإنشائية من استفهام و أمر و نهي وهذا لطغيانها في الرسالة ومدى أهميتها في خدمة
السياق العام للرسالة ثم انتقلنا إلى دراسة كل المشتقات اسم الفاعل و اسم المفعول مع
الإشارة إلى دلالتها في الاستخدام.

ثم انتقلنا ثالثا إلى دراسة المستوى الدلالي، الذي تناولنا فيه الحقول لدلالة
البارزة في الرسالة، ثم العلاقات الدلالية المتمثلة في ظاهرتي التضاد و الترادف حيث

استخرجنا متضادات ومترادفات الرسالة واشرنا إلى الدلالة استعمالها ومدى خدمتها للنص.

ورابعا وأخيرا قمنا بدراسة ظاهرة التناص في الرسالة وهو التناص الديني مع القرآن الكريم وحاولنا الرجوع إلى خلفية استعماله وانتهى البحث إلى خاتمة ، جمعنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها في هذه المقاربة المتواضعة.

أما عن منهج دراستنا، فقد عمدنا إلى عدم حصر المنهج على منهج بعينة، وهو المنهج الأسلوبي و المنهج التاريخي ، وهذا لملائمة طبيعة الموضوع.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر و المراجع التي ساعدتنا في خدمة الموضوع نذكر منها:كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا للقشندي، و الفن ومذاهبه لشوقي ضيف، و النثر الفني القديم ابرز فنونه وأعلامه لعمر عروة،والنثر الفني في القرن الرابع هجري لزكي مبارك.

وقد اعترضنا في إنجاز هذا البحث بعض من الصعوبات منها: قلة المصادر والمراجع و قلة الكتب الحديثة التي تتناول دراسة النثر الفني القديم ،اتساع موضوع الرسالة وشموله مما صعب لنا الإلمام بجميع الظواهر الأدبية في الرسالة.

وأستغل هذا المقام المبجل لأتقدم بالشكر الخاص للأستاذ الفاضل المشرف "الدكتور إلياس مستاري" الذي لم يبخل علي بتوجيهاته القيمة.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى كل من قدم لي يد العون في إنجاز هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن صار عملا مجسدا.

و أخيرا فإن كنت قد وفقت فهذا غاية ما أرجوه والله الحمد على ما هداني، و إن شاب عملي قصورا أو نقصان فتلك طبيعة البشر والله وحده الفضل و الكمال.

مدخل

النثر الفني عند العرب

أولاً: تعريف النثر الفني لغة و اصطلاحاً

1. لغة

2. اصطلاحاً

ثانياً: نشأة النثر الفني و تطوره

1. العصر الجاهلي

2. عصر صدر الاسلام

3. العصر الأموي

النثر الفني عند العرب:

للنثر الفني صفحات مضيئة في تاريخ الأدب العربي، إذ حظي باهتمام العديد من الأدباء و النقاد قديماً و حديثاً.

و لتحديد مفهومه في دراستنا هذه لأبد من تعريفه لغة و اصطلاحاً.

أولاً. مفهومه لغة و اصطلاحاً:

1. لغة:

يُعرف صاحب لسان العرب ابن منظور في قوله: النثر: نثرُك الشيء بيدك ترمي به متفرقاً مثل: نثر الجوز و اللوز و السكر، و كذلك نثر الحب، إذا بذر (...) و النثار بالضم مثل تناثر من الشيء، و دُرّ و منثر، شدد للكثرة و قيل نثارة، الحنطة و الشعير و نحوهما ما انتثر (...) و تناثر القوم: مرضوا فماتوا، و النثور: الكثير الولد، و كذلك المرأة و قد نثر: ولداً و نثر كلاماً أكثره.⁽¹⁾

و في القاموس المحيط: «نثر الشيء ينثره، يُنثره، و نثاراً، رماه متفرقاً كثره و تناثرة، و النثارة بالضم، و النثر بالتحريك: ما تناثر منه».⁽²⁾

أما المعجم الوسيط فقد جاء نثرت (الدابة نثيراً، عطست، الشيء نثراً و نثاراً رمى به متفرقاً، و يقال نثر الكلام صاغه نثراً (...)) و السر نثره و أفشاه (...))، و المنثور: الكلام المرسل غير الموزون و لا المقفى و هو خلاف المنظوم، و الناثر: من يجيد الكتابة نثراً (...))، و النثر: الكلام الجيد بلا وزن و لا قافية، و هو خلاف المنظوم.⁽³⁾

و من خلال كل ما سبق يتبين أن كل المعاني اللغوية للنثر تدل على التبعثر و التفرق و التشتت و عدم الانتظام، و كل هذا من صفات النثر.

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، مج1، مادة (نثر)،

ص136، 137.

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، مادة (نثر)، ص229.

(3) إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، د ط، 1989، مج1، مادة (نثرت)،

ص900، 901.

2. اصطلاحًا:

النثر هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان و قوافي، و النثر العربي نوعان: نثر عادي و نثر فني.

فالنثر العادي:

« هو ذلك اللون الذي يقال في لغة التخاطب اليومية بين الناس في حياتهم العادية، و ليس هذا اللون قيمة أدبية لأن المتحدث به لا يولييه عناية بالألفاظ أو انتقاء الكلمات، مما يجعله غير مثير للانتباه و غير مستصاغ للأسماع.»⁽¹⁾

أما النوع الثاني: النثر الفني:

و يقصد به النثر الأدبي البعيد عن الوزن و القافية، و الذي يعتمد على انتقاء الألفاظ و حسن الصياغة، و خصوبة الخيال، مما يجعل له تأثيرا في النفوس و تحريكًا لمشاعر و أحاسيس المتلقي، و هذا النثر يتفرع إلى فرعين كبيرين هما: الخطابة و الكتابة الفنية.⁽²⁾

و هذه الأخيرة قد سماها بعض الباحثين باسم النثر الفني، التي تشمل القصص المكتوبة و الرسائل الأدبية الموجودة و قد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة، كما تتمثل الكتابة الفنية عن الأوروبيين في الوصف و القصص.⁽³⁾

و يعدّ النثر الفني قسيمًا للشعر في باب الأدب، إذ يشمل مجموعة من الفنون التي شاعت في العصر الجاهلي، كالخطابة، و الحكم و الأمثال، و الوصايا و المحاورات و القصص، و سجع الكهان و المنافرات، و التي بدورها تثبت وجود النثر الفني في ذلك العصر.

(1) محمود رزق حامد، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، د سوق

مصر، ط1، 2010، ص213،.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص213.

(3) ينظر شوقي ضيف، الفن و مذهب، دار المعارف، مصر، ط9، 1970، ص12.

و قد قسّم العلماء النثر إلى نثر مرسل: و هو الذي ينطلق فيه كاتبه من غير تضع و زخرفة حسب تأدية المعنى، كأسلوب ابن المقفع و الجاحظ، و النثر المسجوع مصنوع: و هو الذي يحرص فيه كاتبه على السجع، و التوازن و التزيين، كأسلوب أبي حيان التوحيدي، و أصحاب المقامات، و نثر شعري: و هو إلي يكثر فيه صاحبه الصور و التشابيه، كأسلوب مصطفى لطفى المنفلوطي، أما أسلوب النثر المعاصر: فهو نثر سردي. (1)

من خلال ما سبق يمكننا القول إن النثر الفني هو ذلك اللون الأدبي الذي يحوي أفكارا منظمة مضاعفة بصياغة جيدة، و بأسلوب في راقٍ، و هذا ما جعل منه موضوع دراسات العديد من النقاد.

ثانيا. نشأة النثر الفني:

يجد الباحث صعوبة كبيرة حينما يحاول تحديد الوقت الذي نشأ فيه النثر الفني في الأدب العربي، خاصة في العصر الجاهلي، و خاصة فيما يتعلق بالنثر، و لم يستطيعوا بالرغم من جهودهم و دراساتهم أن يصلوا إلى نتيجة ثابتة أو رأي موحد. فالحديث عن النثر الفني يقودنا إلى اتجاهين مختلفين:

1- نفي وجو النثر الجاهلي:

فمن الذين ذهبوا إلى هذه الفكرة، نجد الدكتور طه حسين، حيث أشار إلى هذا في كتابه « في الأدب الجاهلي » الذي قال فيه: « فإذا نحن التمسنا تاريخ النثر عند العرب الجاهليين على ضوء هذه النظرية، فقد يكون من العسير جدا - إن لم يكن من المستحيل - أن نهتدي الآن إلى شيء من ذلك لأننا مضطرون إلى أن نقف من نثر الجاهليين نفس الموقف الذي وقفناه من شعر الجاهليين، و انقسم العرب إلى قسمين: عرب الشمال و عرب الجنوب، و نرفض من غير تردد كل ما يضاف إلى عرب الجنوب من نثر قبل

(1) - محمد الزواوي، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني للطباعة و النشر، د ط، 2003، ص 87.

الإسلام، ذلك لان النثر الذي أضيف إليهم كالشعر قد رُوي بلغة قريش التي لم يكن لهم بها علم.» (1)

أما ما يخص عرب الشمال فقد نفي ما ينسب إليهم من نثر، و هذا بنفيه ما ينسب إلى مضر و حخته في ذلك عدم توفي أي نص عربي مغربي كتب قبل الإسلام، و إذا كان الاعتماد على الرواية فيما ينسب من شعر إلى المصريين، فلا يصح الاعتماد عليها وحدها في إثبات وجود النثر، لأن هذا ليس من البحث العلمي في شيء. (2)

كما نجد هذا الرأي في كتابه " من حديث الشعر و النثر "، إذ يرى أنه لا يستطيع بأي حال من الأحوال أن نطمئن إلا أن هذا العصر كان له نثر فني، كما أنه لا يمكن الاعتماد على حجة القرآن الكريم في إثبات هذا لأن ليس بشعر و لا نثر، فلا يمكن أن نسميه بغير اسمه. (3)

فقد شايع الدكتور طه حسين المسيو مرسية في هذا الرأي، و هو رأي يقضي بأن العرب في الجاهلية كانوا يعيشون عيشة أولية PRIMIRTIF و هذه الحياة لا توجب النثر الفني لأنه لغة العقل في حسين تسمح بالشعر و ذلك لأنه لغة العاطفة و الخيال، و هذا الرأي تبناه طه حسين و أذاعه في دروسه بالجامعة المصرية ثم أثبتته في كتاب مجمل الذي اشترك في المدارس الثانوية. (4)

يتبين من هنا أن أصحاب الرأي ينكرون بشدة وجود النثر الفني في العصر الجاهلي، حيث قدموا حججا مختلفة لتدعيم هذا الرأي، و لكن هذا لا يمنع وجود الرأي الذي يخالفه.

(1) طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1964، ص328.

(2) المرجع نفسه، ص329.

(3) طه حسين، من حديث الشعر و النثر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1969، ص25.

(4) ينظر زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص41،

2- إثبات وجود النثر الجاهلي:

من الذين يؤكدون وجود النثر في العصر الجاهلي نجد الدكتور زكي مبارك الذي يرى انه كان للعرب قبل الإسلام نثر فني مع صفاء أذهانهم و ملامة طباعهم، و لكنه ضاع لأسباب أهمها شيوع الأمية و قلة التدوين، و الدليل لإثبات هذا هو القرآن الكريم، فهو حجة لا تتكر و دليل لا يجحد على أن ثمة نثر جاهلي، إذ جاء بلغته و تصوراته و تعابيره، فلا مفر من الاعتراف بأن القرآن يعطينا صورة صحيحة للنثر الفني لعهد الجاهلية فقد نزل لهداية أولئك الجاهليين، و هم لا يخاطبون بغير لا يفهمونه و يتذوقونه حيث عرض العديد من المعضلات العقلية أو الاجتماعية و الروحية عند العرب في الجاهلية. (1)

لكن مهما تباينت الآراء بين نفي و إثبات لا يمكن إنكار ما أثر عن الجاهليين من ألوان أدبية نثرية كالخطابة و سجع الكهان و الوصايا و الأمثال و الحكم، و هذا ما سنفصل فيه.

أ- الخطابة:

تعد الخطابة من أبرز الألوان النثرية في العصر الجاهلي و ذلك لضرورة و حاجة الجاهليين إليها، كوسيلة لإقناع و استمالة المخاطبين.

و قد بلغت الخطابة شأنًا عظيمًا في هذا العصر و ذلك لأنهم استخدموا في التحكيم بين الخصومات، و إصلاح ذات البين، و في المناقرات، و المناظرات و المفاخرات بالاحتساب و الانتساب و المناقب و الآثار و الدعوة إلى الحرب و في هنا سبائهم الاجتماعية المختلفة كالزواج و المصاهرة، فكل هذا ساعد في رواجها و رقيها. (2)

كما ساعد في ازدهار هذا الجنس النثري العديد من المؤهلات التي تتمثل في الحرية، كثرة الحروب و المناقرات، توفر الأسواق و المجالس، كثرة الوفاة على الملوك

(1) ينظر، زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، ص 45-46.

(2) ينظر محمود رزق حامد، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، ص 214.

التي تحتاج إلى إظهار براعة الكلام، بالإضافة إلى ما لديهم من ملكة البيان و فصاحة اللسان، و حضور البديهة. (1)

و نجدُ منزلة الخطيب في الجاهلية كانت تفوق منزلة الشاعر، و هذا ما يوضحه عمر بن العلاء في قوله: «كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم، و يفخم شأنهم و يهول على عدوهم و من غزاتهم و يهيب من فرسانهم و يخوف من كثرة عددهم، و يهابهم شاعر غيرهم، فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر و الشعر و اتخذوا الشعر مكسبة، و رحلوا إلى السوق و تسرعوا إلى أغراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر». (2)

و هذا التفوق يعود إلى وظائف الخطيب المتعددة من مفاخرات و منافرات عن قومه، و حض على القتال، بالإضافة إلى انفراده بمواقف خاصة، المتمثلة في وفادته على الملوك، و النصيح و الإرشاد، و خطب الأملاك و الزواج، و من أهم المواقف التي انفرد بها الخطيب دعوته إلى السلم و أن تضع الحرب أوزارها بين القبائل المتخاصمة، على عكس الشاعر الذي لم يكن يدعو إلا إلى الأخذ بالتأثر و إشعال الحرب. (3)

مما لاشك فيه أن للخطابة في هذا العصر أسلوبها الخاص بها، الذي اتسم بروعة الألفاظ ووضوح المنهج و قصر السجع و كثرة الأمثال، حيث تخير لها خطباتها ألفاظاً في غاية الرقة و العذوبة، و معانٍ رائعة مألوفة، كما تميزت خطبهم بالطول و القصر إلا أنهم كانوا للقاصر أميل، لأنها أذيعُ بين الناس و أعلق بالصدور، حيث أنهم كانوا يتناقلونها مشافهة و يروونها كالشعر. (4)

(1) ينظر محمود رزق حامد، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، المرجع سابق ، ص410.

(2) الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة حانجي للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، ط7، ج1، ص242.

(3) ينظر شوقي ضيف، الفن و مذهب، دار العارف، مصر، ص29.

(4) ينظر محمود رزق حامد، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي ، ص219.

كما كانوا يشترطون على خطبائها جملة من السنن و التقاليد منها: لوثُ العمامة على الرؤوس أثناء الخطبة، و الإمساك بالعصي و المخاصر و القضبان، و الوقوف على مرتفع من الأرض، أو القيام على ظهر دابة. (1)

و من أشهر الخطباء في العصر الجاهلي نجد قيس بن شماس في يثرب و ابنه ثابت و هو الخطيب النبي صلى الله عليه و سلم، و من خطباء الأنصار سعد بن الربيع أما مكة فمن خطبائها هاشم و أمية، و نُفيل بن عبد العزى جدُ عمر بن الخطاب كذلك عتبة بن ربيعة (خطيب قريش يوم بدر)، و سهيل بن عمر، و قس بن ساعدة الأيادي و أكثم الصيفي، و قيس بن عاصم، و عطار بن صاحب زرارة. (2)

و من الخطب المشهورة في العصر الجاهلي خطبة قيس بن ساعدة الأيادي في قوله:

«أيها الناس: اسمعوا و عوا، من عاش مات، و من مات فات، و كل من هو آتٍ آتٍ، ليلٌ داغٍ، و نهارٍ ساجٍ، و سماء ذات أبراج، و نجوم زهر، و بحار تزخر، و جبال مرساة، و أرض مدحاه، و أنهار مجراة، إن في السماء لخبراً، و إن في الأرض لعبراً وما بالُ الناس يذهبون و لا يرجعون، أرضوا فناموا، أم تركنوا فناموا؟ يُقسِمُ بالله قسماً لا إثم فيه، إن لله ديناً هو أرض له، و افضل من دينكم الذي انتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكرًا.» (3)

و هي خطبة مسجوعة و كان فيه واعظاً متأملاً تحس في كلامه حيرة مجرب و حكمة العقلاء النابهين. (4)

(1) - ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط8، (د ت)، ص415.

(2) - المرجع نفسه، ص413.

(3) - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، دار العلم و المعرفة، القاهرة، مصر، ط1، ج1، 1923، ص35.

(4) - ينظر شوقي ضيف، الفن و مذهب، ص34.

و من خلال ما سبق يمكننا القول أن الخطابة بلغت رقيا عظيما، و ساعد في كل هذا الظروف الحياة الجاهلية سواء السياسية أو الاجتماعية أو العقلية و الفكرية.

ب- سجع الكهان:

كان سجع الكهان من المعتقدات التي سادت في الجاهلية، فقد عرف الجاهليون بالكهانة أو سجع الكهان، و قد كان من ألون كلامهم.

فلم يفارق سجع الكهان في الجاهلية، فقد التزموا و كان من أضرب كلامهم إذ اعتمد عليه الكهان، و هم طائفة من الناس كانت تدعي التنبؤ و معرفة المغيبات، و كل كاهن كان يدعي أن له رؤيا أو تابعا من الجن يتسرق له السمع، و هذا مما جعل الجاهلي يصدقه و يستشيريه في أعظم الأعمال و الأمور، و يطلب منه الاحتكام في الخمومة أو المنافرة، كما كان يلجأ إليه في تفسير رؤياه، و كان الكاهن ينبؤهم بما سيقع فيحذرهم كارثة تهددهم، أو غزو يدبر عليهم، و كان حكمه في الأغلب لا يرد. (1)

و قد عرف هذا العصر طائفة من الكهان و غلبهم كان من اليمن و من أشهرهم: سطيح الذئبي، و شق بن الصعب الأنماري، و نجد بجانب هؤلاء الكهان كاهنات وهبن أنفسهن للآلهة و معابدها و نذكر منهن: الشعناء و الكاهنة السعدية، و الزرقاء بنت زهير، و الغيطة القريسية، و الزبراء كاهنة بني رثام، و يروى أنها أنذرتهم غارة فقالت: «و اللوح الخافق و الليل الغاسق، و الصباح الشارق، و النجم الطارق، و المزن الوادق، إن شجر الوادي ليأدوا ختلا، و يحرق أنيابا عصلا، و إن صخر الطود ينذر نكلا، لا تجدون عنه معلا» (2)

(1) ينظر غازي ظليمات، عرفات الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياها و أعلامه و فنونه، مكتبة الإيمان، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص557.

(2) ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، ص420.

و من خلال كل هذا يمكننا القول إن السجع من أهم الألوان النثرية التي تعكس لنا القدرة البلاغية في العصر الجاهلي، بحيث تعرض لنا مقدرتهم اللغوية في التحكم في الكلام و صياغة الجمل و تسجيدها بفواصل لها جرس موسيقي خاص.

ج- الأمثال و الحكم:

عرفت الأمثال و الحكم منذ العصر الجاهلي فقد جرت على ألسنتهم حيث كانت من بين أهم الألوان النثرية التي كادت تغطي على ألوان النثر الجاهلي الأخرى، فقد استعملوها خلال السهرات و المشاحنات اليومية و الوقائع الحربية و المعاملات التجارية فنطقوا بها في أشعارهم و نثرهم و أقوالهم العادية. (1)

و قد أثر العديد من الأمثال و الحكم عند الجاهليين، فكلاهما سيق في المناسبات المختلفة و لأنهما يتفقان مع حياتهم و نظرتهم لما حولهم، و هما تعبير عن تجربة معمقة في الحياة، فالحكمة قول موجز اللفظ يتضمن حكما صحيحا مسلما به، ورد على لسان رجل ذي تجربة و خبرة أما المثل: قول محكم يدور على الألسنة، أو هو قول موجز يشبه ضربه مورده، و كلاهما يشترك في الإيجاز و الدقة و قوة العبارة ووضوح الفكرة و روعة الصياغة. (2)

فقد وردت العديد من أمثال و حكم الجاهلية في كتب تاريخنا العربي. و منها ما ذكره السيوطي من الأمثال فنقلنا عن ابن دريد في أماليه و هي:

« رُبُّ عجلة تهب ريثاً، أدعو الليل فإن الليل أخفى للويل، من استرعى الذئب ظلم نفسه المرء يعجز لا محالة، لا جماعة لمن اختلف، لكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ

(1) ينظر محمد مرتاض، قراءة جديدة للنثر العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)،

2012، ص 17.

(2) ينظر محمود رزق حامد، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، ص 232.

السلاح أسرع العقوبات عقوبة البغي، الحرُّ حرٌّ و إن مسه الضر، و إذ فزع الفؤاد ذهب الرقاد.» (1)

أما بالنسبة لأشهر الحكماء و البلغاء في هذا العصر ما ذكره الجاحظ في " البيان و التبیین " في قوله:

«و من الخطباء و البلغاء، و الحكماء و الرؤساء أكثم الصيفي، و ربيعة بن حنار و هرم بن قطية، و عامر بن الضرب، و لبيد بن ربيعة.» (2)

فقد عني هؤلاء بالأمثال و الحكم، و جعلوا منها فناً سائراً، حيث تناقلها العرب في الجاهلية و حفظوها و استخدموها في أضرب كلامهم و هذه الحكم و الأمثال تعكس لنا العمق الفكري، لأنها لا تتأتى إلا لذوي العقول الراجحة.

الوصايا:

قد تتقارب الألوان النثرية فيما بينها و هذا ما نجده في الوصايا و الخطبة، فالوصايا هي لون نثري قريب من الخطابة إلا أنه أضيق حدوداً منها، هي قطعة نثرية أقصر من الخطابة، و توجه إلى صديق أو قريب أو زوجة أو ابن أو أخ، إذ يوجهها الموصي إلى أهله أو عشيرته حين دنوا أجله، و الغاية منها تقديم النصح و الإرشاد، و الترغيب في التزام الفضائل و الأخلاق، و قد تنطوي على مقدار من الأمثال و الحكم و التي تتضمن خلاصة تجربة الحياة. (3)

و من أشهر الوصايا نجد وصية أمامة بنت الحرث لابنتها أم إياس بنت عوف عندما حان وقت زفافها من الحارث بن عمر ملك كندة، فقالت لها، إحفظي له خصالاً عسراً يكون له دخرًا.

(1)- السيوطي، المزهري في علوم اللغة و أنواعها، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، 1997، ج1، ص379.

(2)- الجاحظ، البيان و التبیین، ص271.

(3)- ينظر غازي ظليمات، عرفات الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياها و أعلامه و فنونه، ص560.

أما الأولى و الثانية، فالخشوع له بالقناعة و حسن السمع له و الطاعة، و أما الثالثة و الرابعة: فالتفقد بمواضع عينية و أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، و لا يشم منك إلا أطيّب ريح و أما الخامسة و السادسة: فالتفقد في وقت منامه و طعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة و تنقيض النوم مغضبة، و أما السابعة و الثامنة: فالاحتباس لما له و الإرعاء على حشمه و عياله و ملاك الأمر في المال و التقدير في العيال حسن التدبير، و أما التاسعة و العاشرة: فلا تعصي له أمرا و لا تقشي له سرا، ثم إياك و الفرح بين يديه إن كان مهما و الكآبة بين يديه إن كان فرحا. (1)

و من خلال ما سبق يمكننا القول أن الوصايا لون من الألوان النثرية التي تعكس نظرة الجاهلي المعمقة للحياة.

3-النثر في صدر الإسلام:

لما جاء الإسلام أيقض العرب و أثار ما سكن من نشاطهم وحياتهم و حيب إليهم القوة و الجاه و الملك، فانطلقت أسنتهم و ظهر فيهم الكتاب و الخطباء و الشعراء و كان من دواعي ذبوع البلاغة عندهم حاجتهم إلى الدفاع عن صدق النبوة، ثم انتشار الفتن بينهم، فتن التحزب، و أول مظهر لقوة الخطابة و الكتابة هو التنافس الشديد الذي قام بسبب الخلافة، فقد كان كل حزب من المهاجرين و الأنصار يدعوا لنفسه سرا و علانية عن طريق الخطب و الرسائل التي كانت تدور في المجالس و المساجد و الأسواق. (2)

أ- الخطابة:

لقد ساهم الدين الإسلامي في تطور الخطابة، حيث اتخذها الرسول صلى الله عليه و سلم أداة للدعوة إلى الدين الحنيف، و متممة للذكر الحكيم، بل كانت فرض في صلاة الجمعة، و الأعياد، و مواسم الحج، كما أدى إلى ازدهارها جملة من العوامل هي:

(1)- محمود رزق حامد، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، ص227.

(2)- ينظر زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، ص63.

- 1- أنها أصبحت لسان الدعوة الإسلامية ووسيلة نشرها.
- 2- أن الإسلام فرض الخطابة و جعلها من شعائره في الجمعة و العيدين و في يوم الحج الأكبر.
- 3- استعمالها في تحميس الجنود في معارك الفتوحات. (1)

كما تميز نثر هذا العصر بالعديد من الخواص كالعمق و القوة و هذا يرجع إلى تأثره بالآداب الأجنبية التي عرفها العرب حيث انبثوا بفضل الإسلام في المماليك التي فتحوها فاكتسبوا بالمعاشرة و المصاهرة روحا جديدة ظهر أثرها في الخطب و الرسائل و المحاورات. (2)

أما بالنسبة لأشهر الخطباء في هذا العصر، يُعد الرسول صلى الله عليه و سلم الخطيب الأول في الإسلام و قد تأثر به العديد من الخطباء أبرزهم الإمام علي بن أبي طالب كذلك الخلفاء الراشدين و سواهم من أهله عرفوا بالخطابة منهم عائشة و ابن العباس، و عبد الله بن زبير أو أبو عبيدة عامر بن الجراح رضوان الله عليهم. (3)

و لقد اشتهرت الخطابة و خاصة الخطابة الدينية و من أشهرها و أروعها خطبة الرسول صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع قال:

« الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب إليه و نعوذ به من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، فمن يهدي الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله و أحثكم على طاعته...» (4)

(1) ينظر سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص99.

(2) ينظر زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، ص62.

(3) ينظر سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي، ص100.

(4) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج1، ص56.

فقد امتازت خطب الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعوة إلى النصح و الإرشاد إلى تقوى الله و الحث على الأعمال الصالحة و الابتعاد على المنكر، فقد جاء رسولا للبشرية جمعاء مبشرا و منذرا و داعي لمكارم الأخلاق.

أما بالنسبة للخطبة عند الخلفاء الراشدين فقد بلغت ذروة الفصاحة و البلاغة و هذا لما بثه القرآن الكريم من بيان في ترغيبه و ترهيبه في نفوسهم، و لما كان من بيان الرسول عليه الصلاة و السلام من مواعظ و تشريعات فقد تسرب هذا البيان إلى نفوسهم و أخذ بقلوبهم مما عكس عن آثارهم. (1)

فوجد لأبي بكر رضي الله عنه خطب كثيرة منها خطبته التي خطبها لما تمت البيعة له فبعد أن حمد الله و أثنى عليه قال:

«يا أيها الناس: إني وليت عليكم و لست بخيركم، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني، و إن رأيتُموني على باطل فسد دوني، أطيعوا ما أطعم الله فيكم فإذا أعصيته فلا طاعة لي عليكم إلا أن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له حق و أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا و استغفر الله لي و لكم» (2)

فهذه الخطبة تدل على شدة تمسكه بدينه، و صدقه في المعاملة و إنصافه و هذا ما حث عليه الدين الإسلامي.

فقد اعتنى المسلمون بالخطابة، إذ أطلقوا عليها أسماء كالبترء و هي التي تخلوا من التحميد، و الشوهاء، و هي التي نخلوا من الاقتباس، من القرآن الكريم و الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم. (3)

(1) - ينظر ، سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي ، ص105.

(2) - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص68.

(3) - ينظر زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، ص62.

و من خلال كل ما سبق يمكننا القول إن الخطابة في عصر صدر الإسلام لم تكن مجرد لون نثري بل كانت وسيلة لنشر الدين الإسلامي و الدعوة إلى التمسك بهذا الدين الجديد.

ب- الوصايا:

لقد ازدهرت الوصايا في عصر صدر الإسلام ازدهارًا كبيرًا و يعود هذا لظهور الدين الإسلامي و ما جاء به من نصح و إرشاد ووصايا حي استخدمت كوسيلة لإبلاغ هذه النصائح و الإرشادات، و الدعوى إلى تقوى الله. و من هذه الوصايا نجد وصية أبي بكر الصديق إلى عمرو بن العاص و الوليد بن عقبة و أوصى كل واحد منهما بوصية واحدة و هذا بقوله:

«اتق الله في السر و العلانية، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا و يرزقه من حيث لا يحتسب، و من يتق الله يكفر عنه سيئاته، و يُعظم له أجرًا، فإن تقوى الله خيرٌ توأصى به عباد الله، إنَّك في سبيل من سبل الله لا يُمسك فيه الإذهان و التفريط و الغفلة عما فيه قوام دينكم و عصمة أمركم.»⁽¹⁾

يتبين لنا من هذا أن الوصايا اصطبغت بصبغة الدين الإسلامي حيث تناولت نصائحه و إرشاداته و دعوته إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة و تقوى الله.

ج- الرسائل:

شهد فن الرسائل إنتشارًا واسعًا في هذا العصر، و هذا لانتشار الكتابة و تطورها بعد مجيء الإسلام الذي ساعد على ازدهارها و نموها و هذا بالحث على تعلمها و استخدامها.

فقد عمل الرسول صلى الله عليه و سلم جاهدًا على نشر الكتابة بين أصحابه و هذا لأنها من أهم الوسائل لنشر القرآن الكريم و تعلمه و إبلاغ مقاصده.⁽²⁾

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص75.

(2) ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط6، 1984، ص129.

و من بين هذه الرسائل رسالته صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن جعفر الحضرمي التي قال فيها:

«من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأقبال العباهلة، من أهل حضرموت بإقام الصلاة و إيتاء الزكاة، على التبعة شاة، و التيمة لأصحابها، و في السيوب الخمس، لا خلص و لا وارط، و لا شذق و لا شغار فمن أجبي فقد أرى كل منكر حرام.»⁽¹⁾

ففي هذه الرسالة يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وائل بن جعفر الحضرمي أن يدعوا أهله إلى إقامة الفرائض و التحلي بمكارم الأخلاق.

كما كان للكتابة في هذا العصر خواص منها: التألق في البدء و الختام فالعرب في الجاهلية كانت تبتدئ رسائلها بـ " اسمك اللهم " ثم " من فلان إلى فلان " ثم تمضي في الغرض أو الموضوع، أما في الإسلام أصبحت الكتابة تفتتح بالبسملة و تبتدئ في صدرها غالباً، بالسلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى و الثناء و التحميد بعد السلام بقول: أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ثم التلخص إلى المقصود بأما بعد و تختتم في الكثير بالسلام عليكم و رحمة الله تعالى أو السلام على من اتبع الهدى.⁽²⁾

و من خلال هذا يمكننا القول أن الدين الإسلامي قد أحدث قفزة نوعية في الأدب عامة و في النثر خاصة.

3-النثر في العصر الأموي:

عرف النثر الفني في العصر الأموي نهضة أدبية و قفزة نوعية لم يسبق مثلها حيث ظهر أثر الثقافة الأدبية فيه ظهوراً واضحاً.

و نجد النقاد تحدثوا عن العوامل التي أثرت في ازدهار هذا النثر من الخطابة و كتابة في عصر بني أمية و التي أوجزتها مي يوسف فيما يلي:

(1)- الجاحظ، البيان و التبیین، ج2، ص67.

(2)- ينظر زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، ص73.

- أ- القرآن الكريم: الذي أثر في ملكات العرب و هذب في ألسنتهم و رقق من مشاعرهم، كما استفادوا من بلاغته و هذا بعد هداية الشعوب إلى الإسلام.
- ب- الحديث الشريف: فقد حفظ المسلمون الحديث الشريف فاتسعت إفادة الناس منه و تأثروا ببلاغته.
- ت- مجالس القصص و الوعظ التي كانت ثقافة أدبية يتحدث فيها كل بليغ و خطيب و أديب بسحر القول و بلاغته و بيانه.
- ث- الأدب و الشعر الجاهلي الذي شجع بنو أمية على روايته مما أكسب النثر الفني القوة و الجزالة.
- ج- استفادة العرب من اختلاطهم بالموالي و العناصر الأجنبية فقد تحدثوا عنها في مجالس سمرهم مما اكسب العقول عمقاً و فهماً و معرفة و ثقافة. (1)
- فقد بلغ النثر الفني رقياً عظيماً و نما نمواً واسعاً، و هذا لما عرفه هذا العصر من تعدد الأحزاب و تعقد الحياة السياسية و الاجتماعية إذ انعكس هذا التعدد على الأدب و بلغ به تسوطاً كبيراً. (2)
- أ- الخطابة:

ازدادت دواعي الخطابة في عصر بني أمية و هذا لانتشار الفتن و الثورات و تعدد الأحزاب و المذاهب، حيث استخدمت كوسيلة للتأييد أو المعارضة.

و عرفت الخطابة في هذا العصر بشدة الإقناع وروعة التأثير و قصد الجمل و الازدواج أو السجع بينهما، و مراعاة المقام و حال السامعين، فقد كان الخطيب أو المترسل عارفاً بمواقع القول و أوقاته. (3)

(1) ينظر مي يوسف خلف، النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الأموي، ص32.

(2) ينظر قصي الحسين، تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي، مكتبة الهلال للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص209.

(3) ينظر عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 1990، ص233، 234.

و هذا ما أشار إليه ابن قتيبة في كتابه " نقد النثر " بقوله:
«أن يكون الخطيب أو المترسل عارفا بمواقع القول و أوقاته و احتمال المخاطبين
له، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة، فيقصر عن بلوغ الإرادة، و لا يستعمل
الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلى الإضجار و الملاله، و أن لا
يستعمل ألفاظا خاصة في مخاطبة العامة و لا كلام الملوك مع السوقة، بل يعطي كل
قوم من القول بمقدارهم»⁽¹⁾

و نفهم من هذا أن الخطيب قد أولى عناية خاصة للخطابة و هذا بمراعاة المقام و
حال السامعين فلا يخطب بها إلا في الموضع المناسب لها.
و قد ظلت الخطابة في العهد الأموي محافظة على مكانتها المرموقة التي اكتسبتها
في صدور الإسلام و هذا للإقبال الشديد عليها من الناس و رجال الأدب و احتفال
النوادي و المجالس بها، و قصور الخلفاء و الأمراء و غيرها من الأماكن العمومية و
الخصوصية.⁽²⁾

و للخطابة في العصر الأموي العديد من الميزات فقد أوجزها عبد المنعم خفاجي
فيما يأتي:

1- ظهور النزعة الدينية في الكثير منها كما في خطبة قطرى بن الفجاءة و أبي حمزة
الشاري.

2- كثرة أساليب التهديد و التوبيخ و الوعيد و الإنذار في الخطبة.

3- التزامهم سب آل علي في خطب الأمويين السياسية و الدينية ما عدا عمر بن عبد العزيز
الذي أبدل ذلك و جعل مكانة تنقص آل علي و آل بيته قوله تعالى: «إن الله يأمر بالعدل
و الإحسان».

(1) ابن قتيبة، قد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1995، ص96.

(2) ينظر زبير دراقي، المستقصى في الأدب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط،

1995، ص175.

4- اقتباسها من القرآن الكريم تارة من الشعر الجاهلي تارة أخرى.

5- ظهور أثر البلاغة في الجاهلية بما فيها من شدة و صلابة.

أما أشهر الخطباء، فهناك طائفة نذكر منهم: «معاوية بن عبد الملك، قتيبة بن مسلم، خالد بن عبد الله القسري، المهلب بن أبي صفرة، الذين كانوا من الولاة، و من العلويين الحسين بن علي و حفيده زيد أما من الخوارج فنجد عمر بن حطان، و قطرى بن الفجاءة، و أبو حمزة الإباضي، و كان إلى جانب هؤلاء عبد الله بن الزبير و أخوه مصعب و شعبان بن وائل و خالد بن صفوان.»⁽¹⁾

فكل هؤلاء حفلوا بالخطابة و جعلوا منها سلاح نو حدين إما في الترهيب أو الترغيب و استمالة المخاطبين.

و نذكر نموذجا من هذه الخطب و المتمثل في خطبة معاوية بالمدينة عام الجاعة فقد قدم معاوية عام الجاعة فتلقاها رجال قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، و أغلى كعبك فما رد عليهم شيئا حتى صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«فإني و الله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، و لا مسرة بولاية، و لكني جادلتكم بسيفي هذا مجادلة، و لقد رضيت لكم نفسي على عملي (...). فإن لم تجدوني خيركم فإنني خير لكم ولاية و الله لا أحمل السيف على ما لا سيف له، و إن لم يكن منكم إلا من يستشفى به القائل بلسانه فلقد جعلت ذلك له دبر إنن، و تحت قدمي و إن لم تجدوني أقوم ما بحقكم كله (...). فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا جاء يثري، و إذ قل أغنى، و إياكم و الفتنة فإنها تفسد المعيشة و تكدر النعم.»⁽²⁾

و من هذا يمكننا القول أن الخطابة نهضت في العصر الأموي نهضة واسعة و هذا لحاجتهم إليها و استخدامها كوسيلة للتأييد بين المذاهب و الأحزاب التي تعددت في هذا العصر.

(1)- عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، ص240.

(2)- أحمد زكي صفوت، ج2، ص172.

فن الرسائل:

شاعت الرسائل في العصر الأموي و عرفت بمختلف أنواعها فقد تعددت مجالاتها بتعدد مجالات الحياة السياسية و الاجتماعية و الفكرية .

فقد زادت العناية بالكتابة لاتساع أعمال الخلفاء و كثرة شؤون الحكم و تعدد الدواوين فقد زاد معاوية على ما كان منها في عهد الخلفاء الراشدين حيث أنشأ ديوان الرسائل و ديوان الحاكم، و ديوان الخراج، و هذا مما ساهم في نشر الكتابة الفنية و توسعها و بلوغها شوطا كبيرا لم يسبق مثله في العصور السابقة. (1)

و قد تميزت الكتابة في هذا العصر بالعديد الخصائص الفنية، فبعدما كانت تتميز بالبساطة و السهولة و الإيجاز و الوضوح في العهد الأول و هو زمن الوليد بن عبد الملك أخذت بالتطور و النمو في العصر الثاني و هو أيام الوليد، صناعة لها أصولها و قواعدها حيث تميزت بإشراقه البيان و الصنعة و الإقتاب، حيث كانت الكتابة على أيدي الكتاب المثقفين بثقافة عربية واسعة، كأبي العلاء سالم كاتب هشام الذي نقل الكتابة إلى مرحلة جديدة و احتلت بهذا المرتبة الرفيعة. (2)

ثم جاء عبد الحميد الكاتب الذي نهض بعد الترسل و جعل منه فن قائم بذاته و هذا بوضعه قواعد الكتابة الفنية و إرساء أصولها فقد كان شيخ المترسلين و رائدهم، فكان اول من مهد سبلها، ووضع معالمها و رسم لها رسوم خاصة في بدايتها و ختامها و الاطنان فيها مرة أخرى، فهو إمام المترسلين دون منازع. (3)

و لعبد الحميد بن يحيى الكاتب رسائل في موضوعات متعددة سياسية و أدبية و له كتب إخوانية، و من آثاره رسالة كتبها إلى الكتاب، و رسالته مفردات في الشطرنج و رسالة طويلة كتبها على لسان مولاه مروان بن محمد وجهها إلى ابنه عبد الله حين أرسله

(1) ينظر عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصر الأموي و العباسي ، ص226.

(2) ينظر المرجع نفسه ، ص268.

(3) ينظر سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي، ص340.

إلى محاربة الضحاك ابن قيس الشيباني رأس الخوارج و كانت هذه الرسائل بمثابة دساتير، و هذا لأهمية مواضيعها و فحواها. (1)

و من خلال كل ما سبق يمكننا القول أن فن الترسل في العصر الأموي كان من أبرز الألوان النثرية و أعلاها شأنًا.

و هذا الأخير هو موضوع بحثنا و سنأتي إلى التفصيل فيه في الفصل الأول من دراستنا.

(1) ينظر حنا الفاخوري الموجز في تاريخ الأدب العربي و تاريخه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1991،

الفصل الأول

فن الترسل عند عبدالحميد الكاتب

- 1- مفهوم فن الترسل
- 1-1- الترسل لغة واصطلاحاً
 - لغة
 - اصطلاحاً
- 2-1- أنواع الترسل
 - الترسل الديواني
 - الترسل الإخواني
- 2- الكتابة الفنية عند عبدالحميد الكاتب
- 2-1- أسلوب عبدالحميد الكاتب
 - الاطناب
 - الازدواج
- 2-2- أهم رسائل عبدالحميد الكاتب
 - رسالته للكتاب
 - رسالته المفردات في الشطرنج

1- مفهوم فن الترسل

1-1- الترسل لغة واصطلاحاً

- لغة:

لمعرفة مصطلح الترسل، لابد لنا من الوقوف على جذره اللغوي، أو معناه اللغوي لهذا نجد الترسل مشتق من كلمة رسل:

فقد يتفرع من هذا الجذر (ر س ل) الرء و السين واللام ألفاظ مختلفة المعاني و الدلالات و هذا ما نجده في العديد من معاجمنا العربية.

ففي لسان العرب جاء: « رَسَلَ. الرَّسَلَ: القَطِيع من كل شيء والجمل أرسال والرَّسَلَ: الإبل (...) والرَّسَلَ: قَطِيع بعد قَطِيع، وتَرَسَلَ في قراءته، إِتَادَ فيها، وفي الحديث: كان في كلامه تَرَسِيل: ترتيل، يقال تَرَسَلَ الرجل في كلامه ومشيته إذ لم يعجل، وهو التَّرَسُل سواء، و في حديث عمر رضي الله عنه: إِذَا أَدْنَتْ فترسلك أي تأن و لا تعجل (...) و الترسُّل: من الرَّسَلَ في الأمور والمنطق، كالتمهل والتوقر والتثبت وجمع الرسالة الرسائل، و الترسل في القراءة والترسل واحد، قيل وهو التحقيق بلا عجلة (....) و الإرسال: التوجيه، و يقال ترأسَلَ: القوم أرسل بعضهم إلى بعض». (1)

أما في المعجم الوسيط فقد جاء: « (رسل) البعير رَسَلاً ورسالةً: كان رَسَلاً و الشعر رَسَلاً: كان طويلاً مسترسلاً.

أرْسَلَ: الشيء أطلقه و أهمله. ويقال: أرسلت الطائر من يدي، ويقال أرْسَلَ الكلام: أطلقه من غير تقييد. والرَّسُول: بعثته برسالة، وترأسَلَ: القوم أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة، وترسَلَ: تمهل وترفَّق، ويُقال ترسَلَ في كلامه وقراءته ومشيته واسترسل:

(1) إبن منظور، لسان العرب، ص 70،71.

الشعر كان بسطا (...) والرّسالة: ما يُرسل» (1)

و في معجم مقاييس اللغة يعرفه ابن فارس بقوله: « رسل: الرء و السين و اللام. أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث و الامتداد.

و الرّسل: السير السهل، والرّسل: ما أرسل من الغنم إلى الرعي، والرّسل: اللبّن و قياسه ما ذكرناه، لأنه يترسل من الضرع، و يقال أرسل القوم: إذا كان لهم رسل: وهو اللّبّن.

و رسيلاً: الرّجل: الذي يقف معه في نضال أو غيره، كأنه سمي بذلك لأن إرسال سهمه يكون مع إرسال الآخر سهمه، و إسترسلت، إلى الشيء: إذا انبعثت نفسك إليه و أنست، و المرسلات: الرّياح» (2)

من خلال ما سبق يتبين لنا أن كل المعاني والدلالات التي وردت في مختلف المعاجم في تعريفها لجذر (رسل) تتفق وتجتمع في معنى واحد وهو الدلالة على الانبعاث و الانبساط و التتابع مع الرفق والتمهل والتأن.

- الترسل اصطلاحاً:

عن الترسل في معناه الاصطلاحي نجده يأخذ معنى كتابة الإنشاء، وفي ذلك يقول "القلقشندی" في كتابه " صبح الأعشى في صناعة الانشاء": « فأما كتابة الإنشاء، فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام و ترتيب المعاني من المكاتبات

(1) إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 344.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1979، ج2،

و الولايات، والمساحات، والإطلاقات ومناشير الإقطاعات، والمدن والأمانات والأيمان و ما في معنى ذلك ككتابة الحكم و نحوها» (1)

كما يرى أن الترسل أعظم كتابة الإنشاء وهذا لأنه أعم حيث لا يستغني عنه ملك و لا سوقه، ولهذا يختلف عن الولايات التي تختص بذوي المناصب العلية دون غيرهم. (2)

أما "عمر عروة" يرى بان الترسل مبني على مصالح الأمة، فهو كلام يرسل به من بعد أو غاب فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك ويشتمل الترسل على مكاتبات الملوك في مهمات الدين و إصلاح الأحوال، و بيعات الخلفاء وعهودهم. (3)

وقد يعني الترسل إنشاء المراسلات على الخصوص، وذلك لأنه يراد به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه، من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، وهو الذي يتغير مع العصور، ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليب متشابهة، وجميعها تعتمد على خطاب يوجه المرسل إلى المرسل إليه أو من شخص إلى شخص آخر، بحيث تتضمن مواضيع مختلفة. (4)

و بهذا يمكن القول إن الرسالة: «هي كل ما يرسل، وأهي الكلمة الشفوية أو المكتوبة يبلغها الرسول أو يحملها إلى من ترسل إليه، وهذه الكلمة تختلف طولاً وقصراً على حسب موضوعها» (5)

(1) الفلقلشندى ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د ط)، 1922، ج1

ص 54.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص 53.

(3) ينظر عمر عروة، النثر الفني القديم أبرز فنونه و أعلامه دار القصة للنشر (د ت)، (د ط)، ص 32.

(4) ينظر جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال، القاهرة، مصر، (د ط) 1930م، ج1، ص 34.

(5) عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط2، 1972 ،ص 21.

و قد ورد معنى الرسالة الشفوية في الشعر الجاهلي كقول زهير بن أبي سلمى:

أَلَا أَبْلُغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَ ذُ بَيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مَقْسَمٍ (1)

فالشاعر يقصد أن إبلاغ الرسالة يكون مشافهة، أي ابليغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم: قد حلفتكم على إبرام حبل الصلح كل حلف، فتخرجوا من الحنث وتجنبوا، فالرسول الذي قام بتبليغ الرسالة للقبليّة نقل إليهم الخبر مشافهة و ذلك بأمرهم إقامة الصلح بينهم. (2)

كما نجد المحدثين بدورهم اهتموا بهذا الفن إذ قاموا بتعريف الرسالة نذكر منهم جبور عبد النور الذي عرّف الرسالة بقوله: « هي ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبرا فيه عن شؤون خاصة، أو عامة و ينطلق فيها الكاتب عادة على سجيته بلا تضع أو تأنف، وقد يتوخى حيناً البلاغة، والغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع» (3)

و مما يجدر الإشارة إليه أن فن الترسل فن قائم بذاته له أصولاً وقواعدا يعرف بها فهو صناعة لا يجيدها إلا من كان له دراية و خبرة تمكنه من إتقان هذا الفن.

و هذا ما تحدث عنه ابن خلدون في مقدمته بذكره الصفات والسمات الخلقية التي يجب على الكاتب التحلي بها وذلك في قوله « وأعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من ارفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك، مع ما تدعوا اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر اليه الترسيل و تطبيق مقاصد الكلام من البلاغة و أسرارها» (4)

(1) زهير ابن سلمى، الديوان، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص107.

(2) ينظر الزوزني، شرح المعلقات السبع، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2010م، ص 90.

(3) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1972م، ص 122.

(4) ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 247.

يتبين لنا من خلال هذا القول مدى قيمة كتابة الرسائل فهي لا تتأتى إلا لذوي الأخلاق الفاضلة و أصحاب الدراية باللغة، وما تكتننه من أسرار البلاغة.

وبما أن الترسل فنٌ نثري قائم بذاته، فلا بدّ أن تكون له خصائصه التي تميزه عن باقي الفنون النثرية الأخرى، و هذا ما أشار إليه أحمد الهاشمي في كتابه « جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب»، إن طريقة المكاتبة تحتاج إلى مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليهم خواصها خمس: أولاً: السداجة وهي أن يكون الكلام فطرياً بعيداً عن التكلف و الزخرف اللفظي، ثانياً: الجلاء ويكون بالابتعاد عن التراكيب الملتبسة والغامضة واللجوء إلى الكلام المهدب الصريح. ثالثاً: الإيجاز: ويقصد بت العدول عن حشو الكلام إطالة الجمل إلى إبراز الدلالة وافية المقصود، رابعاً: الملائمة: وهي مراعاة المقام وفيها تكون الألفاظ والمعاني على قدر الشخص المكتوب إليه، فكل حسب مقامه، وهذا مما يزيد الرسالة إتساقاً وانسجاماً، وأخيراً الطلاوة: وتكون بجودة العبارة و سلامة المعاني و سلامة الألفاظ التي تكسب الكلام رونقاً و إشراقاً، مما يجعل له وقعا يستحسنه السامع.⁽¹⁾

و من هذا يمكننا القول أن الترسل من أهم فنون الأدب العربي، و الذي يعتبر من أهم وسائل التواصل، فهو بدوره يحتاج إلى كاتب موهوب يتمتع بحساسية نقدية ومعرفة لغوية و ثقافة واسعة تعكس مهارته الإبداعية.

و بعد تعرفنا على الخصائص الفنية التي تميز أسلوب الرسالة، نجد أنها تتشابه مع فن الخطابة، فقد سار الكتاب على منوال الخطباء في كلامهم وهذا ما نص عليه

(1) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط35، 1996م، ج1، ص 41.

جعفر النحاس بقوله: « وعلى منوال الخطابة نُسجت الكتابة وعلى طريق الخطباء مشت الكتاب». (1)

ففي هذا إشارة إلى التشابه والترابط بين فني الرسالة والخطابة وقد قال في هذا "أبو هلال العسكري": « وإعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن و لا تقفية، و قد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ و الفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل، لا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها، والرسالة يكتب بها والرسالة تُجعل خطبة، والخطبة تُجعل رسالة» (2)

صحيح أن هناك تشابه أو تشاكل بين فن الخطابة وفن الرسالة في جوانب عديدة إلا إننا لا نستطيع إنكار وجود بعض الفروق بينهما، والتي تقتضيها طبيعة الأشياء و ظروف الإلقاء والكتابة، فالخطيب يعتمد على طريقة استمالة السامعين واجتذابهم، أما الكاتب يقرأ على إنفراد، وهو لا يواجه القارئ إلا بما يكتب. (3)

وفي كل ما تقدم يمكننا القول إن فن الترسل أو ما يعرف قديما بفن المكاتبات من أرقى الفنون النثرية الذي مبدأه التواصل، وهذا ما جعله يتبوأ مكانة مرموقة بين أبناء جنسه.

1-2-أنواع الترسل:

لقد قام النقاء بتقسيم الترسل إلى نوعين: ترسل ديواني و ترسل إخواني.

(1) الفلقشندي، مج الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص 253.

(2) أبو هلال العسكري، الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص 154.

(3) ينظر: مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 2009، ص 115.

- الترسل الديواني: أو ما يطلق عليه اسم الرسائل الديوانية (الرسمية العامة): « وهي الصادرة عن ديوان الخليفة أو الأمير يوجهها إلى وُلائته وعماله وقادة جيوشه، بل وإلى أعدائه أحياناً منذراً متوعداً». (1)

وهذا النوع من الرسائل يصدر عن ديوان الرسائل، الذي بدوره يختص بإدارة الدولة و شؤون الخلافة، فهو ديوان الدولة ومن خلاله يتم نشر المراسيم، وتحرير الرسائل السياسية، ومراجعة الرسائل الرسمية، وبعث الرسائل إلى الملوك والخلفاء الآخرين. (2)

و قد كانت تعرف في الأدب العربي باسم رسائل الحميس، وهي رسائل يكتبها البلاغاء في الدولة، و منها الرسائل السلطانية التي كانت تصدر عن ديوان الدولة، وذلك بتأييد مذهب أو تمكين سياسة، أو تفضيل فريق على فريق، فهي جملة ما الرسائل الصادرة عن الدولة أو الواردة إليها في المجالات السياسية والإدارية. (3)

و لعل هذا ما يكسب الرسائل الديوانية أهمية كبيرة، وذلك باعتبارها الناطق الرسمي باسم الدولة، حيث تعتمد عليها في ترتيب و تيسير أمورها وفي تحديدها علاقات مع الدول الأخرى، كما تعتمد عليها في الحفاظ على هيبتها، وبهذا تعد سندا للدولة و قواماً لأركانها. (4)

و يدخل في هذا النوع من الترسل موضوعات عديدة منها: "العهود

(1) عبد العزيز عتيق في النقد الأدبي، ص 222.

(2) ينظر خالد الحلبوني، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، سوريا 1، 2010م، ص 50.

(3) ينظر إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، (د ط)، (د ت)، ص 193.

(4) ينظر: عبد الحليم حسن الهروط، النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، دار جويد للنشر و التوزيع، عمان، الاردن، 1، 2006م، ص 43.

والمواثيق والمراسيم، والمنشورات، وكذلك كتب الوعيد والإنذار بالحروب" (1)

ومما لا شك فيه أن لهذا الشكل من أشكال الترسل شروط وخصائص فنية مميزة، فقد كان الكتاب يهتمون بانتقاء الألفاظ وصياغة العبارة، والحرص على التأنق في الأسلوب، مع مراعاة الجودة والإتقان. (2)

و لهذا نجد النقاد العرب القدامى أولو إهتماما كبيرا بالترسل وخاصة كتابة الرسائل الديوانية، وذلك بحديثهم عن ثقافة الكاتب وأسلوبه الذي يعتمد في كتابة هذا النوع من الترسل، وفي ذلك يقول ابن قتيبة: « ويستحب له أيضا أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضع الكلام » (3)

و كما نص على هذا صاحب كتاب "الصناعتين" أبو هلال العسكري بقوله: « فأول من ينبغي أن تستعمله في كتابك، مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق... و الشاهد عليه أن النبي - صلى الله عليه و سلم- لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته... فسهل - صلى الله عليه و سلم- الألفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية، ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فحَمَّ اللفظ لما عُرِفَ من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله». (4)

و من الواضح أن هذه الرسائل تحتاج إلى كاتب أديبا بليغا، وهذا ما يتطلب منه ثقافة واسعة في اللغة والأدب والتاريخ، كما يجب عليه حفظ عدد من الشواهد الشعرية

(1) عرفة حلمي عباس، نقد النثر (النظرية و التطبيق)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص 322.

(2) ينظر: ابن عبد ربه، العقد افريد، تحقيق امين و آخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1982، ج4، ص 262.

(3) ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، لبنان، ط4، 1963م، ص 14.

(4) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 172.

والنثرية و الأقوال والحكم، لإسمي القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا بعد الإلمام بأنواع المعارف التي تمكنه من اتقان صناعته في نسيج رسائل بأسلوب رصين بليغ⁽¹⁾

لذا يشترط لمن يتقلد هذا المنصب شروطاً منها: « أن يكون ملماً بكثير من صنوف العلم والثقافة في عصره، وخاصة الثقافة اللغوية والأدبية، القائمة على معرفة دقيقة، باللغة وعلومها، وأسرارها البيانية، وسبيله إلى ذلك وحفظ الكثير من النصوص الأدبية شعراً ونثراً، والتفنن في استعمال أساليبها التعبيرية»⁽²⁾

و قد شاع هذا النوع من الرسائل في العصر الأموي، وهذا لتعدد الأحزاب السياسية المعارضة للدولة، و كثرة الفتن والنزاعات ، وتضارب التيارات الفكرية.

و من أمثلة هذه الرسائل ما كتبه الحجاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك وهو لا يزال ولياً للعهد، فيها حدة و انفعال، إذ يقول: «أنت نقطة من مداد، فان رأيت فيّ ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة فإن شئتُ محوتك و إن شئتُ أثبتك»⁽³⁾

و كان الحجاج يحاول صرف الولاية عن سليمان بن عبد الملك، إلا انه لم يتمكن من تنفيذ ذلك لأن المنية قد وافته.⁽⁴⁾

و من أمثلة ذلك أيضاً ما كتبه عمرو بن سعيد إلى الحسين وهو متجه إلى العراق طالبا الخلافة فقال: " وقد بعثتُ إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إلي

(1) التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م، ج2، ص 478-479.

(2) عثمان موافي، من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د ط) 2000م، ج1، ص 80.

(3) سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي، ص 346.

(4) ينظر المرجع نفسه ص 347.

معهما، فإن لك عندي الأمان، والصلة، والبر، وحسن الجوار. الله عليّ بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ، ووكيل.⁽¹⁾

ففي هذه الرسالة التي وجهها عمرو بن سعيد إلى الحسين، منحّ للامان الكامل و المعاملة الطيبة مع الخير والإحسان، مقابل أن يتراجع عما عزم عليه من طلب الخلافة.⁽²⁾

و لاشك أن من أشهر كُتاب الرسائل الديوانية عبد الحميد الكاتب و هذا في رسالته المطولة التي كتبها على لسان مروان إلى ابنه عبد الله التي سيتم دراستها و تحليلها إن شاء الله تعالى في هذا البحث.

- الترسل الاخواني: أو (الرسائل الشخصية).

ويأتي هذا النوع من الترسل في مقابل بالترسل الديواني، فقد عرفه القلقشندي بقوله: « الاخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان والمراد المكاتبة الدائرة بين الأصدقاء»⁽³⁾

كما يمكننا القول أن هذه الرسائل تصدر عن الأشخاص في شتى الموضوعات التي تقتضيها ظروفهم و أحوالهم الشخصية، من موت يقتضي التعزية، أو ولاية تقتضي التهئة، أو التعبير عن مشاعر خاصة من شوق و شكر، و عتاب أو اعتذار.⁽⁴⁾

و بما أن هذه الرسائل تتبع من مشاعر و عواطف الشخص نجدها تزخر بموضوعات عديدة، فيها عتاب وإعتذار وتهان وغير ذلك من موضوعات الشعر وهذا ما

(1) خالد الحلولي، فن الرسائل النثرية، ص 40.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج8، ص 126.

(4) ينظر: زبير دراعي، المستقصى في الأدب الإسلامي، ص 193.

يجعل لها مجالاً واسعاً وقدرًا عظيمًا، فهي توضح فكرة الكاتب وعاطفته، وتصور كثيرًا من آراء الناس وأحوالهم من منازعات وعادات وأخلاق ونمطهم المعيشي.⁽¹⁾

و قد صنف القلقشندي الرسائل الإخوانية إلى سبعة عشر نوعاً هي: «التنهائي والتعازي، والشفاعات، والتشوق، والإستزارة و اختطاب المودة، وخطبة النساء والإستعطاف والاعتذار، والشكوى، وإستماعة الحوائج، والشكر، والعتاب، والسؤال عن حال المريض والأخبار، والمداعبة»⁽²⁾

ففي هذا النوع يطلق الكاتب العنان لسجيته، فيعبر كما يحب، و يشارك في الأفراح قراح وأحبابه وأقربائه وجمال ويشكر ويعاتب، فهذه الرسائل أشبه ما تكون بمقدمات القصائد القديمة، والتي يعبر فيها الشاعر عن ذاته، وبمآثره، وأحاسيسه قبل الدخول في الموضوع الرئيسي للقصيدة.⁽³⁾

و هذه الرسائل تعتبر نموذجاً لفن نثري راق و في هذا يقول أحمد الشايب: « فهي أدخل في الأدب، و أقبل للتخييل، وللصور البيانية والصنعة البديعية، تحتمل الاقتباس من المنثور و المنظوم، و تنافس الشعر في جل أغراضه».⁽⁴⁾

ومن خلال هذا يمكننا القول إن للرسائل الإخوانية نمطاً تعبيرياً خاصاً بهاو الذي يتمثل في أسلوبها المنمق بفن الصنعة البديعية، و هذا مما يجعل الرسالة نصاً

(1) ينظر: فيصل حسن طحيمر العلي، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب، كلية الآداب و اللغات، قسم الادب العربي جامعة نابلس، فلسطين، 2006، ص 31.

(2) ينظر: القلقشندي، الأعشى في صناعة الإنشاء، ج9، ص 5.

(3) ينظر: عرفة حلمي عباس، نقد النثر (النظرية و التطبيق)، ص 408.

(4) أحمد الشايب، الأسلوب، المطبعة العربية المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1992، ص 113.

أدبياً راقياً، في أسلوبه و ألفاظه و معانيه و أفكاره. (1)

و من أمثلة الرسائل الإخوانية ما كتبه بشير بن مروان بن الحكم إلى أخيه عبد العزيز معتذرا له عما بدر منه في قوله: " بسم الله الرحمن الرحيم: لولا الهفوة لما احتيج إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل. ولو إحتمل الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه. و بقيا الأكبر على الأصغر من شيم الأكارم. و لقد أحسن مسكين الدرامي حسين قال:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَاءِ بَغَيْرِ سِلَاحِ

وَ إِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَأَعْلَمُ جَنَاحَهُ وَ هَلْ يَنْهَضُ الْبَارِي بَغَيْرِ جَنَاحٍ؟ (2)

و من أمثلة ذلك أيضا رسالة الضحاک بين قيس التي جمعت بين موضوعين متناقضين التهاني و التعازي التي بعث بها إلى يزيد بن معاوية حيث تولى الخلاف، فقال : « أما بعد : فكتابي إلى أمير المؤمنين كتاب تهنئة ومصيبة، فأما التهنئة فالخلافة التي جاءت عفوا ، وأما المصيبة فموت أمير المؤمنين معاوية، فإن لله وإنا إليه راجعون » (3)

و كذلك ما كُتِبَ في السوق و الإستزارة، ومثال رسالة يزيد بن معاوية إلى محمد بن الحنفية في المدينة المنورة، معبرا فيها عن اشتياقه له و طالبا منه زيارته، فكتب إليه يقول : « إني ما أعرف اليوم في بني هاشم رجلا هو أرجح منك علما وحلما، ولا أحضر منك فهما و حكما، ولا أبعد منك على سُفه و دنس و طيش ... وقد أحببت زيارتك

(1) ينظر: التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، ص 478-479.

(2) زبير درافي، المستقصى في الأدب الإسلامي، ص 194.

(3) خالد الحلبوني، فن الرسائل النثرية، ص 42 .

و الأخذ بالحظ من رؤيتك، فإذا نظرت في كتابي هذا فأقبل إليّ أمانة مطمئناً». (1)
 و لعبد الحميد الكاتب رسالة إخوانية كتبها إلى أهله يصف فيها محنته وغرته
 عندما فرّ إلى مصر هو ومروان بن محمد آخر خلفا بني أمية والتي يعزيهم فيها عن
 نفسه :

« أما بعد، فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالكره و السرور، وجعل فيها أقساما مختلفة
 بين أهلها، فمن درّت له بحلاوتها، و ساعده الحظ فيها سكن إليها ورضي بها، و أقام
 عليها، و من قرصته بأظافرها، وعضّته بأنيابها، و توطّأته بثقلها، قلاها نافرا عنها، و ذمّها
 ساخطا عليها، و شكاهها متزايدا منها. و قد كانت الدنيا أذقتنا من حلاوتها و أرضعتنا من
 درها أفويق استحليناها، ثم جمعت بنا نافرة، و أعرضت عنا متكرة، و رمحتنا مولية، فمُلح
 عذبها، و أمرّ حُلوها، و خشن لينها، فأبعدتنا عن الأوطان، و فرقتنا عن الإخوان فدارنا
 نازحة، و طيرنا بارحة، قد أخذت كل ما أعطت، و تباعدت مثلما تقربت و أعقبت بالراحة
 نصبا، و بالجدل هما، و بالأمن خوفا، و بالعز ذلا، و بالجدة حاجة و بالسراء ضراء

و بالحياة موتا، لا ترحم من استرحمها، سالكة بنا سبيل من لا أوبة له، منفيين عن
 الأولياء، مقطوعين عن الأحياء». (2)

فعبد الحميد وجّه هذه الرسالة إلى أهله معبرا فيها عن الأسى والحزن لبعده
 و اغترابه عنهم، فهذه الرسالة تعكس بوضوح مدى معاناته و تدمره و يأسه من حال الدنيا
 التي سلكت به سبيل الفراق والبعد والغربة. (3)

(1) خالد الحلبيوني، فن الرسائل النثرية، المرجع السابق، ص 43 .

(2) سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي، ص 351 .

(3) ينظر: حميد آدم ثويبي، فن الأسلوب (دراسة و تطبيق)، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006

و في كل ما تقدم يمكننا القول إن الرسائل الإخوانية من أهم الفنون النثرية، فيكفي أنها تتلون بتلون المشاعر الإنسانية والأحاسيس الوجدانية التي تعكس شخصية الكاتب الإنسانية و الفنية.

2-1- أسلوب عبد الحميد الكاتب في الترسل

لقد كان عبد الحميد الكاتب من أكثر توافرا على كتابه الرسائل التي تدل على سعة خيالية، فقد تميز و برع في هذا الفن حتى لقب بشيخ الكتاب، و إمام المنشئين والمترسلين في الأدب العربي : « كان أمه وحده في البلاغة العبارة و رصانة الأسلوب ودقة المعاني و لطفها، وعظمة الخيال وروعته، و شدة التأثير وامتلاك ناحية البيان وكان يفصل الحملة تفصيلا، و يزنها بقليل من السجع، ويحليها بألوان الوشي الفني المطبوع»⁽¹⁾

و لهذا يعتبر عبد الحميد رائد من رواد فن كتابة الرسائل، حيث منحها جل عنايته و اهتمامه، سواء كان ذلك في بنائها أو مضامينها، مما رقى بالكاتب رقيا جعل منها فنا قائما .

فلا غنى عن منزلته في الكتابة الفنية للرسائل، وهذا أنه أول من مهد سبلها وميز فصولها، و أطال في بعض الشؤون، وقصرها في البعض الآخر وهذا مراعاة لمقتضى الحال، و أطال التحميدات في صدور الرسائل، كما أنه تأفف في بدأها وختامها على حسب الأغراض التي تكتب فيها .⁽²⁾

فقد اتصف منه بالكثير من الميزات التي بها أصبحت الكتابة صناعة محررة الأصول ميزة الفصول مبنية القواعد، والتي اقتفى طريقها المترسلين من بعده .⁽³⁾

(1) محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، ص 290 .

(2) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الكتب العلمية، ج2، ص 285.

(3) ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 8، 2004، ص 444.

لكن سنركز على اثنين من صفات أسلوبه وهي: الإطناب والازدواج، وهذا لأنها كانت الأكثر بروز في جل رسائله، كما كان عبد الحميد إليها أميل .

-الإطناب :

كان الإطناب من أبرز الصفات التي تميز بها أسلوب عبد الحميد الكاتب، إذ تراه يسهب و يطنب في رسائله و كان على هذا أقدر .

فالإطناب في علم المعاني: « أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة، وهو يقابل الإيجاز و تتوسطهما المساواة »⁽¹⁾

لهذا فالإطناب من الأساليب البلاغية التي تحتاج كاتب متمكن من علوم اللغة من بيان و بديع و أسرار بلاغية، وهذا للتمكن من إيرادها في موضعه وموضوعه المناسب

و في هذا قال أصحاب الإطناب: « المنطق إنما هو بيان والبيان لا يكون إلا بالإشباع، و الشفا لا يقع إلا بالإقناع . وأفضل الكلام أبينه، وابينه أشده إحاطة بالمعاني و لا يحاط بالمعاني إحاطة تامة بالاستقصاء : والإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة، والغبي والفظن، ولولا المعنى ما أطيلت الكتب السلطانية .في إفهام الرعايا »⁽²⁾

فلا شك أن عبد الحميد الكاتب لم يكن بغافل عن مواضع الإطناب و استعماله في الموضوعات المناسبة له، فقد أطنب في موضع الإطناب وأجاز في موضع الإيجاز، حيث نجده يورد الإطناب ويستخدمه في المواضيع التي تليق به، وهذا في رسائله السلطانية وأوالديونية، وهذا لأن الكتب الصادرة على السلاطين في الأمور الجسيمة كالفتوحات

(1) إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، ج2، مادة (طنب)، ص 567 .

(2) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 141 . 142 .

و تفخيم النعم، والدعوة إلى طاعة، والنهي عن المعصية، يجب أن تكون مشبعة ومستقصاة و هذا لأسر القلوب والأخذ بمجامعها . (1)

و هذا ما سار عليه عبد الحميد الكاتب في رسائله الديوانية، منها رسالته التي كتبها على لسان مروان إلى ابنه عبد الله حين وجهه إلى محاربة الخوارج، فقد طالت حتى امتدت إلى نحو أربعين صفحة . فلا تكاد تلم بهذه الرسالة حتى نراها طويلة طولا غير مألوف، لكن هذا الأطناب يعكس الحس المنطقي والقوي . (2)

و الرسالة كانت بمثابة دستور كبير لقائد الجيش، وفي هذا الدستور تتضح ثقافة عبد الحميد بالأدب القومي السياسي، معتمدا في ذلك على ما قرأه في أدب الفرس السياسي من وصايا و تعاليم في حروبهم وسياسة حكامهم وملوكهم، فقد استخلص من الأسلوب الفارسي طريفته التي عرف بها، والتي تتسم بترتيب الأفكار و حسن تقسيمها والدقة في توزيعها عبر أجزاء الرسالة . (3)

لعل هذا ما دفع الدكتور "طه حسين" بأن يعزي هذا الأمر إلى اتصال عبد الحميد بالثقافة اليونانية، فقد أشار في كتابه " من حديث الشعر و النشر " إلى هذا، إذ يرى أن تقييم الجيش إلى وحدات كل واحدة على شاكلة ما كان معروفا عند اليونان، و كذلك تقسيم الكلام في ترسله، كما أن استعمال الحال على هذا النحو من خصائص اللغة اليونانية التي استخدمها اليونانيون في تحديد المعاني، فهذه الخاصية الفنية هي التي ترجح أن عبد الحميد

(1) ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، المصدر السابق، ص 150 .

(2) ينظر: سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي، ص 342 .

(3) ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، ص 476 .

الكاتب كان شديد الاتصال بالثقافة اليونانية . (1)

و في هذا الصدد يشير " شوقي ضيف" إلى أن عبد الحميد إذا كان قد اتصل بالثقافة اليونانية، فهي عن طريق غير مباشر، وهو طريق أستاذه سالم الذي كان يجيدها ويأخذ عنها أحيانا أما بما يخص استخدام الحال، فهذا معروف أنها من خواص اللغة العربية، هي شائعة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، وهي تتضح في رسالة ولي العهد السابقة ، حين نراه يشرح و يفصل له ما يجب أن تكون عليه جيوشه وأسلحته وفرسانه في الحرب، فكان بهذا كأنه ينشر أشعار أوس بن حجر وغيره من الجاهلين . (2)

نفهم من هذا أن عبد الحميد الكاتب كان واسع الثقافة، وهذا بإلهامه بالعلوم و المعارف، فثقافته تركز على العلوم العربية والدينية، فقد تعددت المشارب التي نهل منها كالعربية، القرآن الكريم، بإضافة إلى أثر الثقافات اليونانية والفارسية والأدب الأخلاقي الساساني، مما أوصل أسلوبه إلى مرحلة النضج والكمال وأصبح مثال يُحتذى به في فن الكتابة، فإذا ذكرت الكتابة الفنية في العصر الأموي، فالمقصود بها؛ هو الكتابة التي انتهجها وشق طريقها عبد الحميد الكاتب . (3)

فأسلوب عبد الحميد الكاتب كان : « يسحر الألباب والعقول ويسبي المشاعر، فهو أسلوب عذب المورد صافي الديباجة، وقد عرف الناس له ذلك حتى إن أبا مسلم الخرساني أبي أن يقرأ الكتاب الذي كتب إليه عن لسان مروان يتجلبه به ويستميله، فأحرقه إشفاقا على نفسه من تأثيرهن و كتب على جذاذة منه إلى مروان :

(1) ينظر: طه حسين، من حديث الشعر و النشر، ص 42-44.

(2) ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، ص 477.

(3) ينظر، سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي و الأموي، ص 241 .

مَحَا السَّيْفُ أَسْطَارَ الْبَلَاغَةِ وَ انْتَحَى عَلَيْكَ بَيُوتَ الْعَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ⁽¹⁾

لهذا يمكننا القول أن أسلوب عبد الحميد من أرقى الأساليب الفنية التي نهضت بالنثر الفني و جعلت منه فناً قائماً بذاته له مواضيعه و أساليبه و مهاراته الخاصة به

- الإزدواج :

يعد الإزدواج من أهم ضروب الألوان البديعية التي تتحقق التناسب اللفظي، و يعرفه البلاغيون بأنه: « عبارة عن تقسيم الكلام إلى فقر متساوية، و متوازية في الطول والقصر و قد تكون متناسبة في الوزن كذلك ». ⁽²⁾

و هذا ما نجده في أسلوب عبد الحميد الذي عُني بالتجويد في عبارته والحرص على اتساقها وانسجامها، معتمدا في هذا على حسن توازنها وترادف ألفاظها، لتحقيق التوازن الإيقاعي و التلوين الموسيقي. ⁽³⁾

و لعل هذا ما يدل على فهم الكاتب وحنقه في اختيار ما يناسب الموضوع، وما يحتاجه من بيان و بديع، ما يعطي رونقا و حلاوة في منثوره من الكلام .

و هذا ما أشار إليه صاحب الصناعتين في قوله: « لا يحسن منثور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما ما يخلو من الإزدواج، ولو استغنى كلام عن الإزدواج لكان القرآن لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق وقد كثر الإزدواج فيه » ⁽⁴⁾

نفهم من هذا القول أن الإزدواج سمة من سمات البلغاء، يستخدمه الكاتب لبناء النص بناء هندسيا أنيقا من جهة، ولإحداث وقع في سمع القارئ من جهة أخرى .

(1) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 144 .

(2) عثمان موافي، فن نظرية الأدب من قضايا الشعر و النشر في النقد العربي القديم، ج1، ص 106.

(3) ينظر: سامي، يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، ص 341.

(4) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 106 .

و نجد عبد الحميد الكاتب عمد على الإزدواج وتمرن فيه، حتى أصبح سمة غالبية على أسلوبه، وهو بهذا يحاكي أسلوب أستاذه سالم الموسيقي الذي يقوم على الإزدواج و الترادف الصوتي، وهذا الأسلوب فن من أساليب الوعاظ مثل غيلان الدمشقي و الحسن البصري وهذا أن الوعظ يحتاج إلى مثل هذا الأسلوب الذي يأخذ بجامع القلوب (1).

و على هذا النحو كان يكتب عبد الحميد الكاتب رسائله، التي كانت كلها من النسيج الأنيق الذي يزينه الإزدواج و الصور البيانية، وقد أثرت عليه العديد من الرسائل على هذا النمط نذكر منها : رسالته إلى أهله يغريهم عن نفسه وهو منهزم مع مروان: « أما بعد فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالفرح و السرور، وجعل فيها أقساما مختلفة بين أهلها، فمن درت له بحلاوتها، و ساعده الحظ فيها سكن إليها، ورضي بها، وأقام عليه ومن قرصته بأظفارها و عضته بأنيابها، و توطأته بثقلها، قلاها نافرا عنها، ونأها ساخطا عليها وشكاها متزايدا منها، شكاها متزايدا منها، شكاها متزايدا منها، وقد كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها و أرضعتنا من دُرِّها أفويق، استحلبناها ثم شمسنا منا نافرة وأعرضت عنا متكرة، و رمحتنا مولية، فملح عذبتها، وأمر حلوها، وخشن لينها، ففرقنا عن الأوطان و قطعنا عن الإخوان، فدارنا نازحة، و طيرنا بارحة، وقد أخذت كل ما أعطت وتباعدت مثلما تقربت وأعقبت بالراحة تصبا والجدل هما، وبالآمن خوفا وبالعز ذلا وبالجدة حاجة وبالسرء ضراء و بالحياة موتا، لا ترحم من استرحمها، سالكة بنا سبيل من لا أوبه به منفيين من الأولياء مقطوعين عن الأحياء. (2)

فهذه الرسالة تحمل جميع خصائص عبد الحميد التي تميز بها أسلوبه، حيث جاءت الألفاظ واضحة بعيدة عن التوعر و الغريب والحشي، فيها حلاوة و عذوبة، مؤدبة معانيها ومقاصدها بلا غموض ولا خفاء فيها وضوح للمعاني وانكشاف للدلالة، وهو يُعني بالترادف

(1): شوقي ضيف الفن و مذاهبه في النثر العربي، ص 114.

(2) محمد كرد علي، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ط2، 1953، ص 181.

في أسلوبه ترادفاً ينتهي به إلى إزدواج من شأنه أن يؤكد المعاني لما يحمل من معادلات موسيقية تحقق توازن موسيقي يضيف رونقا وإشراقا بجودة و سلامة المعاني، فكل هذا يزيد من على أسلوبية وروعة بيانه وخلابته، لذلك لو تقرأه يتلذذ عقلك لدقة معانيه وبذلك شعورك بجمال تصويره و جمال موسيقية . (1)

وواضح أن عبد الحميد يستخدم خاصة الترادف الموسيقي، حيث تؤدي لا في عبارة واحدة، إنما في عبارتين أو عبارات، حتى تكون الرسالة مستعذبة التعابير، حسنة الارتباط متماسكة النسيج، إذ تتلاحق العبارات متوازنة متعادلة تعادلا موسيقيا رائعا، يرضي الأذن والشعور. (2)

و نلخص في الأخير أن عبد الحميد الكاتب يمثل أرقى نماذج الكتاب والأدباء في فن الترسل، فهو شيخ الكتابة و رائدها بحق .

(1) ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، ص 479.

(2) شوقي ضيف، الفن و مذهب في النثر العربي، ص 125 .

2-2- أهم رسائل عبد الحميد الكاتب:

لقد تميز عبد الحميد الكاتب بطريقة خاصة في كتابة الرسائل، فلده فيها من جاء بعده من المترسلين، « فهو أول من فتق أكمام البلاغة و سهل طرقها »⁽¹⁾

كما جعل من الترسل فنا قائما بنفسه له قواعده و أصوله، فهو أول من أطال الرسائل و استعمل التحميدات في فصول الرسائل، فهو شيخ الصناعة من دون منازع، و رسائل عبد الحميد كثيرة تبلغ نحو ألف ورقة (20,000 سطر) منها الرسائل القصار جدا والرسائل الطوال جدا.⁽²⁾

و لعل من أشهر رسائله: رسالته إلى الكتاب، ورسالته المفردات في الشطرنج.

- رسالته إلى الكتاب :

« أما بعد، حفظكم الله، يا أهل صناعة الكتاب ... فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء و المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملائكة المقربين أصنافا- و لإن كانوا في الحقيقة سواء- و صرفهم في صنوف الصناعات و ضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم و أبواب رزقهم - فجعلهم- معشر الكتاب - في أشرف الجهات، أهل الدب و المروءات. بكم تنتظم للخلافة محاسنها و تستقيم أمورها ... فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون و أبصارهم التي بها يبصرون، و ألسنتهم التي بها ينطقون و أيديهم التي بها يبطنون ... فتنافسوا - يا معشر - الكتاب - في صنوف الآداب و تفقهوا في الدين و ابدعوا بعلم كتاب الله عز وجل، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم . ثم أجدوا الخط لأنه حلية كتبكم، وازووا الأشعار و اعرفوا غريبها و معانيها و أيام العرب و العجم و أحاديثها و سيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسموا إليه هممكم. ولا تضيعوا النظر في

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص 164 .

(2) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم، للملايين ، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ج1، ص 724.

الحساب فإنه قوام كتاب الخراج. وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها و دنيها ... و نزهوا
صناعتكم عن الدناءة و اربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة و تحابوا في الله عز وجل في
صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل و العدل و النبل من سلفكم. و إن نبأ
الزمان برجل منك فاعطفوا عليه وواسوا حتى ترجع إليه حاله ... و إن أفتدأ أحداً منكم
الكبر عن مكسبه و لقاء إخوانه فزوروه و عظموه و شاوروه و استظهروا بفضله تجربته قديم
معرفته . و ليكن الرجل منكم على من اصطنعه و استظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه
على ولده و أحب، فإن عرضت في الشغل محمده فلا يصرفها إلا إلى صاحبه وإن
عرضت مذممةً فليحملها هو من دونه» (1) .

فهذه الرسالة كانت تمهيدا إلى الرسائل الإخوانية، وهذا لما تحتويه من وعظ ونصح
و إرشاد، فقد كتبها عبد الرحمن بن يحيى الكاتب، الذي كان رئيس ديوان آنذاك، إلى الكاتب
الصغار، المستجدين أو الناشئين، يرشدهم فيها إلى أصول الكتابة وآدابها، ويوصيهم باحترام
الكاتب الكبار و مساعدتهم ماديا ومعنويا، فغرضها الرئيسي كان تثقيفيا . (2)

ففي هذه الرسالة نظر عبد الحميد الكاتب إلى كتاب الدواوين نظرة زمالة، و أرشدهم
إلى السبيل الصحيح في صناعة الكتابة طالبا منهم اكتساب ما يلزم من المعارف للقيام
بمهامهم على أكمل وجه، كما أوصى الكاتب ببعضهم البعض، ودعاهم إلى المحبة
و التعاطف و التعاون عند الحاجة . (3)

(1) محمد كرد علي، رسائل البلغاء، ص 172، 174.

(2) ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 376 .

(3) ينظر، زبير، درافي، المستقصى في الأدب الإسلامي، ص 196.

- رسالته المفردات في الشطرنج

« أما بعد فإن الله شرّع دينه بأنهاج سبله وإيضاح معالمه بإظهار فرائضه وبعث رسله إلى خلقه (1) دلالة لهم على ربوبيته و احتجاجا عليهم برسالته لأنه مقدما إليهم بإنذاره و وعيده ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حي عن بينة ثم ختم بنبيه صلي الله عليه وسلم وحيه و قفى به رسله و ابتعته لإحياء دينه الدارس مرتضيا له حين انطمت له الأعلام مختفية و تشتت السبل متفرقة و عقت آثار الدين دراسة و سطح و هج الفتن و اعنتى قنم الظلم و استشهد الشرك و أسد الكفر و ظهر أولياء الشيطان لطموس الأعلام و نطق زعيم الباطل بسكته الحث و اسطرق الجورو استكح الصدوف عن الحق و أقطر لهب الفتنة و استضرم لقاها و طبقت الأرض ظلمة كفر و غيابة فساد فصدع بالحق مأمورا و بلغ الرسالة معصوما و نصح الإسلام و أهله دالا لهم على المرشد و قائدا لهم إلى الهداية و منيرا لهم أعلام الحق ضاحية مرشدا لهم إلى استفتاح باب الرحمة و إعلان عروة النجاة موضحا لهم سبل الغواية زاجرا لهم عن طريق الضلالة . محذرا لهم الهلكة موعرا إليهم في التقدمة ضاربا لهم الحدود على ما يتفقون من الأمور و يخشون ما إليه يسارعون و يطلبون صابرا نفسه على الأذى و التكذيب داعيا لهم بالترغيب و الرهيب حريصا عليهم منحنا على كافتهم عزيزا عليه عنتم رؤوفا بهم رحيفا تقدمه شفقتهم عليهم و عنايته برشدهم إلى تجريد الطلب إلى ربه فيما فيه، بقاء النعمة عليهم و سلامة أديانهم و تخفيف أوامر الأوزار عنهم حتى قبضه الله إليه صلي الله عليه ناصحا متنصحا أمينا مأمونا قد بلغ الرسالة و أدى النصيحة و قام بالحق و عدل عمود الدين حتى اعتدل ميله و أذل الشرك و أهله و أنجز الله له و وعده و أراد صدق أسبابه في إكماله للمسلمين دينه (2) و استقامة سنته فيهم و ظهور شرائعه عليهم قد أبان لهم موبات الأعمال و مفضعات الذنوب و مهبطات الأوزار و ظلم الشبهات و ما يدعو إليه نقصان الأديان

(1) محمد كردي علي، رسائل البلغاء، ص 164 .

(2) المرجع نفسه، ص 165 .

و تستهويهم به الغوايات وأوضح لهم أعلام الحق ومنازل المرشد وطرق الهدى وأبواب النجاة و معالق العصمة غير مدخر لهم نصحا ولا مبتغ في إرشادهم غنما»⁽¹⁾

فقد جاءت هذه الرسالة على لسان الخليفة يأمر فيها أحد الولاة بنهي وزجر الناس من اللهو و اللعب بهذه التماثيل من الشطرنج، وذلك لها ألحقته من ضرر وإثم، لأنهم قد أدمنوا اللعب بها حتى صرفت عقول الناس وألتهتهم عن العبادة وعن مصالحهم ومهامهم.⁽²⁾

و من خلال عرضنا لرسالتي عبد الحميد الكاتب يمكننا القول أن رسائله لم تكن مجرد رسائل فقط، بل كانت دساتير إذ كان فحواها مواضيع من العيار الثقيل، وهذا ما يعكس قدرة كاتبها وبراعته وأستاذيته في الكتابة.

(1) محمد كردي علي، رسائل البلغاء، المرجع السابق، ص 166 .

(2) ينظر، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 376 .

الفصل الثاني

دراسة أسلوبية لرسالة مروان لابنه

توطئة

- 1- تعريف الأسلوب لغة و اصطلاحاً
- لغة
- اصطلاحاً

2- تحليل المستويات اللغوية للرسالة

1-2- المستوى الصوتي

2-2- المستوى التركيبي

2-3- المستوى الدلالي

3- ظاهرة التناص الديني

توطئة:

إن الأسلوب هو أكثر المجالات التي أسهم النقاد و الأدباء في دراستها في ما سموه بالدراسة الأسلوبية، وهي التي تقوم بتحليل الأسلوب و نقله واستخراج خصائصه وإبراز عيوبه، و جعلوا لهذه الدراسة أسس يتبعونها ويتبعها كل من أراد دراسة أسلوب أدبي ما، فهي أكثر الدراسات التي تعطي نظرة دقيقة في الإبداع، أو العمل الأدبي كاشفة لنا مضامينه و سماته و خصائصه.

وقبل أن نلج إلى استخدامه في تحليل رسالة عبد الحميد الكاتب من مروان لابنه، لابد لنا من التعرف على معنى الأسلوب لغة واصطلاحاً.

1-تعريف الأسلوب لغة و اصطلاحاً:

- لغة: يعرفه صاحب اللسان في قوله: « ويقال للسطر من النخيل: أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، و يجمع أساليب»

و يورده أيضا بالضم فيقول: «يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه ، وإن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً» (1)

- اصطلاحاً:

نجد ابن خلدون يعرف الأسلوب في مقدمته بقوله:« عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه». (2)

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج1، مادة (سلب) ص473.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص570.

أما أحمد الشايب فيعرفه على أنه الطريقة التي يستخدمها الكاتب في التعبير عن موقفه، ولإظهار شخصيته الأدبية المتميزة عن غيرها، حيث يقوم بانتقاء المفردات وصياغة العبارات، واستعمال الإيقاع الموسيقي المناسب، مع مراعاة الإتساق و الإنسجام قصد التأثير في المتلقي و إقناعه.⁽¹⁾

وقد عرف بيارجيرو Bier djiro الأسلوب بقوله: «الطريقة في الكتابة وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية»⁽²⁾

ونفهم من هذا القول أن المقصدية من أهم الشروط في تحديد ووصف العمل الأدبي ما إن كان ذو أسلوب أم لا .

فلا يمكن للأسلوب أن يتحقق و يظهر إلا عندما يتجاوز المرسل دائرة الإبلاغ إلى دائرة التأثير، وهذا ما ركزت عليه الأسلوبية بعده العنصر الأساس في إفهام القارئ.⁽³⁾

فهناك أنواع عديدة لدراسة الأسلوب وبالأحرى يمكننا القول بأن هناك مجالات مختلفة للأسلوبية وهي: الأسلوبية التعبيرية والأسلوبية الأدبية والأسلوبية البنيوية و الأسلوبية الإحصائية، وكلها وإن اختلفت في أسس وطرق الدراسات فيها تدرس في الأخير لغة النص وأسلوبه وتتخذة بحثها الأساس حيث « تتفق كل الاتجاهات الأسلوبية على أن المدخل في أية دراسة أسلوبية ينبغي أن يكون لغويا، فالأسلوبية

(1) ينظر: أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الإنشائية، ص 40-44.

(2) بيار جيرو، الأسلوب و الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 34.

(3) ينظر: بشير تاويريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة

الجزائر، 2006، ص 156.

تعني دراسة نص الخطاب الأدبي من منطلق لغوي»⁽¹⁾

و نفهم من هذا أن كل الدراسات تعنى بدراسة النص وأسلوبه، سواء أكان يربط المؤلف بمؤلفه أو بعزله.

وما يهمنا في بحثنا أن الأسلوبية تدرس كل ملمح من ملامح النص من أصوات و تراكيب و كلمات، وما تحمله من دلالات مختلفة، و ذلك للكشف عن جميع سمات الأسلوب في النص⁽²⁾

ففي هذه الاتجاهات يستخدم علم الأسلوب العديد من المقاربات في التحليل اللغوي و يدرس عدة مستويات:

2- تحليل المستويات اللغوية للرسالة

2-1- المستوى الصوتي:

تعد الأصوات اللغوية جوهر اللغة و أساسها، و هي: «وحدة من وحدات الكلام الإنساني إذ تعتبر المادة الخام التي تألف منها الكلمة، فالجملة والعبارة ونظر لأهميتها ، فقد إهتم بها العلماء العرب القدامى وعرفوها في مؤلفاتهم»⁽³⁾.

فالصوت عند الجاحظ «آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف»⁽⁴⁾

و يرى ابن جني في كتابه "الخصائص" أن أساس تأليف اللغة هو الأصوات

(1) فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري، ودراسة تطبيقية، ص37.

(2) ينظر: المرجع نفسه ، ص36.

(3) كوليزار كاكل عزيز، دلالات أصوات اللين في اللغة العربية، دار دجلة، عمان ، الأردن، ط1، 2009، ص23.

(4) الجاحظ، البيان و التبيين، ص79.

وهذا في قوله : « حدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».(1)

وكل هذا يؤثر بشكل واضح في الأسلوب، و هذا ما سنحاول تناوله في دراستنا للرسالة، ففيما يأتي وصف للأصوات التي سجلت تكرارا واضحا في نص الرسالة ومنها:

تكرار حرف الكاف في العديد من فقرات الرسالة ومن أمثلة ذلك: توجيهك أمورك، شؤونك، أحوالك، تنقلك، يملكك، اصطنعك، لعمتك، أبيك، أهوائك، هلكتك، غفلتك، عليك، منك، ربك، دونك، جندك، فرسانك، حماتك، عدوك، عسكريك، فقد تكررت كاف الخطاب بكثرة لأنه يخاطب عبدالله بن مروان.

و الكاف من الأصوات الشديدة أو الانفجارية التي تحدث صوتا انفجاريا.(2)

و كل هذه الكلمات التي تكرر فيها حرف الكاف بشكل لافت للانتباه ، تعكس شدة حرص الكاتب في توجيهه المكتوب إلى عبدالله وإبلاغه بضرورة الالتزام بتعاليمه و الأخذ بها.

كما ورد تكرار هذا الحرف في الكلمات الآتية: جندك، كثرة، تكبير، الكرات و ليذكروا، وليكثرُوا، الوكيل، عدوك، ملائكتك، يذكركم، ينصركم، مكائها.(3)

فالكاف هنا تدل على المعنى المراد الإفصاح عنه، وهو الدعوى إلى شدة التأهب و الاستعداد للحرب، مع طلب العون والتوكل على الله واستنصاره.

(1) ابن جني أبو الفتح، الخصائص، تحقيق: محمد عبد النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص33.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص25.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج10 ص232.

ثم يأتي حرف "الجيم" الذي تكرر في العديد من الكلمات والتي وردت في مستهل الرسالة وذلك قوله: (توجيهك، الجلف، الجافي، الجهالة، جهلا).

فالجيم من الأصوات المجهورة الشديدة و تسمى الجيم القاهرية.⁽¹⁾

و لعل تكرر هذا الحرف في هذه الكلمات يوحي بشدة قهر الضحاك و استلائه، وما اتصف به من صفات سيئة ورذيلة.

كما تكرر أيضا في: (مجلس، مجلسك، الجميع، مستجمع، تضجر، وجهك متوهجا، وجه، جلسائك، مجالس).

فالجيم هنا من الأصوات المجهورة التي تستخدم للدلالة على القوة، و هذا ما يعكس شدة انفعاله لإيصال هذه النصائح و الإرشادات في أدب المجالس.

كما تكرر حرب الجيم في الكلمات يحدث وقعا موسيقيا مما يجعل الكلام منسجما، وهذا ما يلفت انتباه المتلقي.

و من الحروف التي تكررت أيضا حرف "الخاء"، وهذا في قوله: (خلواتك دخائلك، خاصة، خبطته، مخافة، خلوت، خلله، خدمك، تخلو، يرخص، ترخيصا يستخف).

و الخاء من الأصوات المهموسة الرخوة، و هي من أصوات الاستعلاء⁽²⁾

كما تشير إحدى الدراسات أن حرف الخاء >> أوحى الحروف من مشاعر السلبية و المعاني الرديئة⁽³⁾.

(1) ينظر، ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية، ص22-25.

(2) فهد خليل زايد، الحروف، ومعانيها، مخارجها، و أصواتها، في لغتنا العربية، دار الجنادرية للنشر و التوزيع، عمان الأردن، (د. ت)، ص125.

(3) حسن عباس، حروف المعاني بين الأصالة و الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

و هذه الكلمات التي يوحي فيها حرف الخاء إلى الصفات السلبية التي يجب تجنبها و الابتعاد عنها، وقد مثل ذلك بروزا متميزا للألفاظ التي ورد فيها، حيث بدت أكثر لفتا للانتباه.

و من الحروف التي تكررت أيضا نجد حرف "القاف" الذي تكرر في الكلمات الآتية: (لقائهم، قتالهم، ثقتك، معالق، مراقبة، توقي، واثقا، القوة، تلقاك، قتال، نقلا بريقهم، فسقا، القوي، قواسيهم، الوقار).⁽¹⁾

فالقاف » حرف شديد مفخم مجهور وأصابه التهميس في بعض الألسنة«⁽²⁾

و حرف القاف جاء شديدا مفخما أحدث إيقاعا قويا في تجسيد ضخامة الحدث المتمثل في مواجهة العدو أثناء الحرب التي تستدعي القوة و الصمود مع التمسك و التوكل على الله.

و من خلال دراستنا لهذا الجانب يمكننا القول أن تكرار الحروف كان موافقا لدلالة الألفاظ و إبراز معانيها، حيث كان كل حرف من الحروف ينسجم و الموضوع المراد الإفصاح عنه.

فقد أحدث السجع أيضا إيقاعا موسيقيا، وهذا بتكرار أواخر حروفه التي توزعت في معظم فواصل الرسالة.⁽³⁾

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص 209-210.

(2) فهد خليل زايد، الحروف معانيها مخارجها و أصواتها في لغتنا العربية، ص 140.

(3) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 2003

و يعرف البلاغيون السجع بأنه « توافق الفصيلتين في الحرف الأخير»⁽¹⁾

و يعرفه ابن الأثير بقوله: « تواطؤ الفواصل في كل الكلام المنثور على حرف

واحد». (2)

ومن أمثلة هذا اللون من المحسنات البديعية التي وردت في الرسالة قول الكاتب :

« المتسكع في الحيرة و الجهالة، وظلم الفتنة، ومهاوي الهلكة، و رعاة الذين عاثوا في الأرض فسادا وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافا، و بدلوا نعمة الله كفرا، واستحلوا دماء أهل السلمة جهلا». (3)

فالسجع هنا جاء في ثلاث سجعات متتالية حقق بذلك إيقاعا موسيقيا مما زاد

من انسجام و تناسق النص.

و قد استخدم الكاتب أيضا السجع القائم على الطباق في قوله: « ثم تعهد

نفسك بمجاهدة هواك فإنه مغلاق الحسنات و مفتاح السيئات». (4)

وما جاء أيضا في قوله: « وأوجبت عليهم حقا، فقرنت بين خصلتين

و أحرزت حضورتين، ثواب الله في الآخرة، و محمود الذكر في العاجلة». (5)

فقد تميز السجع بالعديد من السمات إذ استخدمه الكاتب بأنواع مختلفة

و أحسن في تأليفه.

(1) احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني البيانو البديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط) 2003، ص 30

(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، مصر، (د. ط.)، (د. ت.)، ج 1، ص 114.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص 195.

(4) المصدر نفسه، ص 197.

(5) المصدر نفسه، ص 203.

كما نجده يستخدم السجع المتوازي في قوله: « أذكروا الله يذكركم ، واستتصروه ينصركم، و التجئوا إليه يمنعكم». (1)

فلاحظ أ، تكرير الفواصل على حرف الميم جاء لتقوية و زيادة المعنى لأن في حرف الميم دلالة على القوة، فهو من الأصوات الشديدة المجهورة، و قد يعكس هذا انفعال الكاتب و جهره بموقفه.

ومما سبق يمكننا القول إن عبد الحميد الكاتب أبدع في استخدام و صياغة السجع و تفنن فيه، وهذا ما يعكس قدرته الإبداعية و الفنية.

ومن المحسنات البديعية التي أضفت إيقاعا تجانس كلمتين و تشاكلهما في اللفظ موسيقيا في النص الجناس.

و الجناس هو: « تجانس كلمتين وتشاكلهما في اللفظ مع اختلافهما في المعنى ». (2)

كما أن الجناس من أحد العلوم البلاغية، ويعتبر من فنون البديع التي قسمها علماء البلاغة إلى فنون بديعية لفظية، و أخرى معنوية، وهو يرتبط بأصوات الحروف التي لها علاقة بالدلالة و المعاني. (3)

و من أمثلة الجناس الواردة في الرسالة: « بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لا مثوية» هذا جناس ناقص، اختلاف في الحرف الأول في كل من (عزم و حزم) « يحملك على رعيتك بما لا حقيقة له عندك، ويلحمك أعراض قوم لاعلم لك

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص232.

(2) علي الجارم و مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان و المعاني و البديع، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1 2002، ص243.

(3) ينظر: حميد آدم ثويبي، البلاغة العربية المفهوم و التطبيق، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط1 2007، ص349.

بدخلهم» جناس ناقص وهو اختلاف في ترتيب الحروف في كلمتي (يحملك و يلحمك) و قد جاء الجناس في : «فلا يصلن أحدا منهم لا بعد وصول علمهم إليك، وعلم ما قدم له عليك» جناس ناقص اختلاف في الحرف الأول في كلمتي (إليك - عليك).

كما ورد الجناس في قوله: «و أقواهما شكيمة في حزمك، و أبعدهما من وضم عزمك (...) و ليظهر من أثرك عليه وإحسانك إليه (...) وما هو أملك به في الاعتصام عاجلا ، و أنجي له من العقاب آجلا»⁽¹⁾.

فكل هذه الجناسات جاءت ناقصة باختلاف نوع الحروف الأولى في: (حزمك عزمك- عليه، إليه-عاجلا، آجلا) .

و قد أحدث هذا المحسن البديعي تناسقا و تناغما وإيقاعا موسيقيا زاد في دلالة الألفاظ من جهة و انسجام الرسالة من جهة أخرى.

وقد تنوع الجناس في مواضع عديدة من الرسالة منها: «وإن طرق طارق في فجات الليل و بغناته» و «وقوم موقوفون يحضونهم على القتال، و يحرضونهم على عدوهم»⁽²⁾.

و هذا جناس ناقص اختلاف في عدد الحروف، فكلمة (طرق) تحتوي على ثلاثة أحرف أما (طارق) تحتوي على أربعة أحرف.

و نفس الأمر بالنسبة لكلمتي (يحضونهم - يحرضونهم).

أما بالنسبة للجناس الناقص بالاختلاف في ترتيب الحروف منه: «وإياك و المسير، إلا في مقدمة و ميمنة و ميسرة و ساقه».

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص 211-212.

(2) المصدر نفسه، ص 216.

و كذلك في : « تهجم على منزل يعجزك، و يزعجك منه ضيق مكانه»
 فقد جاءت هذه الجناسات ناقصة، لما فيها من اختلاف في ترتيب الحروف
 و هذا في (مسيرة - ميسرة)، (يعجزك - يزعجك).

كما نجد الجناس التام في قوله: «عالمًا بمواضعهم من مجلسك، سائلًا لهم
 عن أشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك»⁽¹⁾.

ف نجد في كل من الكلمتين تجاسا وتشاكلا في اللفظ مع الاختلاف في المعنى،
 ففي المثال الأول نجد أن لفظ (مجلسك)، معناه مكان الجلوس، أما المثال الثاني نجد
 لفظ مجلسك ويقصد بها حضور الاجتماع.

ومما سبق يمكننا القول أن الجناس كونه محسنا لفظيا قد أعطى جرسا موسيقيا
 عذبا، تطرب له الأسماع و ترتاح له النفس، كما يثير ذهن القارئ أو المتلقي إلى
 اكتشاف جمال العبارات.

2-2- المستوى التركيبي:

ترى الأسلوبية في دراسة التركيب وسيلة ضرورية لبحث الخصائص المميزة
 لمؤلف معين، بل تعده أحد مستويات التحليل اللغوي للنص الأدبي، و يتخذ الدارس
 الأسلوبية في تحليله التركيبي جملة من المسائل تنطلق من النص نفسه، فالمدخل
 الأسلوبية لفهم أي نص هو لغتها.⁽²⁾

و سنحاول في هذا الجانب استخراج المعنى من كلمات اللغة سواء كانت اسما
 أو فعلا.

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ص206.

(2) ينظر: أماني سليمان داود، الأسلوبية و الصوفية، دار مجدلاوي، عمان الأردن، ط1، 2002، ص33.

و هذا لأن تجمع الجمل الاسمية أو الفعلية يوحي بمعاني معينة، و دلالة تتفق مع المعنى العام للنص، فورود الأسماء مثلا أكثر من ورود نسبة الأفعال في النص، تكون له دلالة و العكس، و كل هذه الدلالات تتعلق بالكلمة من جانب هيئتها أو شكلها. (1)

تركيب الجمل:

أ- **الجمل الاسمية:** تحدثت المطولات النحوية العربية عن الجملة الاسمية في باب المبتدأ و الخبر و النواسخ، و في تأديتها للوظائف النحوية في سياق معين خاص، و أبرز تعريف ما ذكره ابن هشام قائلا: >> فالاسمية هي التي صدرها اسم كزيد قائم، و هيات العقيق، وقائم الزيدان <<. (2)

أما التعريف الحديث للجملة الاسمية: يقول مهدي المخزومي: >> وهي الجملة التي لا يكون فيها المسند فعلا، و ذلك نحو : محمد أخوك، و الحديد معدن، فأخوك و معدن دالان هنا على الدوام أي : دوام اتصاف المسند إليه بهما لأن الأخوة ثابتة لمحمد لا تتغير ولا تصير من حال إلى حال لأن المعدنية وصف ثابت للحديد، لا يتغير في كل من هاتين الجملتين، لا تغير جملة اسمية <<(3)

لقد وردت الجملة الاسمية في رسالة عبد الحميد الكاتب على أنماط متعددة

و كثيرا ما انتقل المبتدأ و الخبر من شكلهما البسيط إلى أنماط مختلفة، وهذا لما حدث من دخول النواسخ على الجملة الاسمية (المبتدأ و الخبر)، ووقوع الاسم ضمير متصل بالنواسخ.

(1) ينظر: منذر عياشي، مقالات الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1990، ص83.

(2) محمد كراكي، ، بنية الجملة و دلالتها البلاغية في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تركيبية تطبيقية، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص19.

(3) المرجع نفسه، ص21.

فقد استخدم الكاتب الجمل الاسمية للدلالة على الاستقرار و الثبات و هذا في الحالات التي تحتاج إلى ذلك.

و من أمثلة هذه الجمل الاسمية:

الجملة الاسمية (مبتدأ و خبر)

«المخصوص بالفضل»

«المحبو بمزية العلم و صفوته»

«الله وليك»

«هذه جوامع خصال»

« المنصوب لأولئك ، و المستمع لأقاويلهم، و الفاحص عن نصائحهم»

« الله من ورائه بالمرصاد»⁽¹⁾

فقد جاءت هذه الجمل للدلالة على الإثبات والإستمرارية، ولإخبار المتلقي بهذه الأخبار وإيفادته بها.

أما بالنسبة للجمل الاسمية المنسوخة نذكر منها:

« كان أحد من حشمك... إن أمير المؤمنين»⁽²⁾.

>> كان المؤدبون أخذوا العلم من عند أنفسهم»

>> أن مواضع الأحراس من معسكرك»

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ص202.

(2) المصدر نفسه، ص195.

<< كان أحد من حشمك >>

<< إن الصوت في إصابة عدوك >>

<< أن القضاء من الله >>

<< أن الظفر ظفران >>

فقد جاءت كل هذه الجمل الاسمية المنسوخة للدلالة على الاستمرار و الثبات و للتعبير عن الأحوال التي تحتاج إلى التثبيت.

و قد وردت الجمل الاسمية أيضا على النمط التالي:

« أنها خدع إبليس... فإنه رأس الهوى و أول الغواية و مقاد الهلكة»⁽¹⁾

« أنه من جندك بحيث ولايتك »

« إنه مغلاق الحسنات و مفتاح السيئات» و « كنت من عدوك على مسافة دانية »

« كأنها جواب كتب لهم إليك»

فكل هذه الجمل الإسمية جاء الاسم فيها ضميرا متصلا بالنواسخ، و الغاية منها تقوية المعنى و تثبيته.

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول إن استخدام الجملة الاسمية كان في مواضعه

المناسبة للدلالة على الثبات و الاستمرارية

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المصدر السابق، ص 197.

ب- الجمل الفعلية:

الجملة الفعلية هي: «كل جملة صدرها فعل، و توضع لإفادة الحدوث في زمن مخصوص كالماضي و المضارع مع الاختصار، أو تفيد باستمرار التجديدي، إذا دلت عليه القرائن»⁽¹⁾

لقد جاءت الجملة الفعلية في رسالة عبدالحميد الكاتب على أنماط مختلفة و التي تراوحت بين فعل ماضي و مضارع وأمر.

فقد زحرت الرسالة بالعديد من الجمل الفعلية، حيث دل هذا على الحركة و الاستمرارية و التجدد، إذ نجده يستخدم الفعل تسعمائة وواحد مرة (901) منها مئتين و خمسة عشر (215) ماضيا و أربع مائة وثلاثة و أربعين (443) مضارعا و مئتان وثلاثة و أربعين (243) أمرا.

و كان في استعمال الأفعال التي تحمل دلالة الحركة والتجدد والاستمرار تعبيراً عن الأحداث المتلاحقة و الحركة و الاضطراب الذي شهدته دولة بني أمية من تعدد الأحزاب و المذاهب و كثر الحروب و الفتنة و التنزع حول السلطة.

كما إن غلبة الفعل المضارع وطغيانه على الرسالة أضفى فاعلية وحركة و استمرارية على النص، وربما كان في هذا إشارة إلى الرغبة في استمرارية الخلافة وتولي الحكم والمحافظة على المنصب.

كما يعكس هذا انفعال الكاتب واستمرارية وتجدد مشاعره الموحية بتحمس إزاء الحادث .

(1) حسين جمعة، في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1 2002، ص60.

التراكيب الإنشائية:

توفر التراكيب الإنشائية تنوعاً في التعبير وإثراء النصوص بالعديد من الأغراض فقد يلجأ إليها الكاتب في إبداعه مبرزاً قدرته الإنشائية، وهذا إما مستفهماً أو سائلاً أو أمراً.

ومن أمثلة الأساليب الإنشائية الواردة في رسالة عبد الحميد :

أ- الاستفهام :

الاستفهام هو: « طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته»⁽¹⁾.

والاستفهام : « طلب الفهم، والاستخبار عن الشيء الذي لم يتقدم لك علمٌ به وله أدواته هي إحدى عشر أداة: الهمزة، هل، من، وما، ومتى، وأين، وأيان، أنى، وكيف وكم، أي»⁽²⁾.

ولقد تضمنت الرسالة مجموعة من أساليب الاستفهام منها :

من المغلوب بالدولة؟

أي الأمور ادعى لهم إلى صلح؟

من أي الوجوه مأتاهم ؟

أمن قبل الشدة و المنافرة ؟

من أي المراكز هي ؟

من صاحبها ؟ من أي الحل حلولة منها ؟

(1) - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ، ص401.

(2) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان لطباعة و النشر، عمان، الأردن، ط1، 1987، ص 173.

كيف احتماله لعسكرك ؟

كيف ماؤه ؟، كيف موضع عسكرك ؟

هل لك قوة ؟، أي الساعات من الليل والنهار .

فقد وردة هذه الإستفهامات في الرسالة على سبيل الدعوة إلى طلب لاستفسار و المعرفة، وهو استفهام تقريرى .

ب- الأمر:

الأمر : «هو طلب الفعل على وجه التكليف و الالتزام بشيء لم يكن حاصلًا قبل الطلب، وفي وقته على جهة الحقيقة أو المجاز»⁽¹⁾

فقد ورد الأمر في الرسالة بصيغ مختلفة منها ما جاء بصيغة التحذير و النداء .

وهو بهذا يتحول من أصل وظيفته إلى معنى تعبيرى بلاغى يخرج فيه الأمر إلى دلالات شتى حسب السياق الذي يرد فيه، وهذا ما يزيد من اتساع التعبير ويمكن من أداء معان كثيرة تتصل بالحال التي تعبر عنها.⁽²⁾

و من أمثلة ذلك في الرسالة ما يلي :

- فاحذرها مجانبا لها .
- توقها محترسا لها .
- توق عليها الآفة .
- توق غلوب الآفات على عقلك .
- اجتنب لنفسك محمود الذكر . احتفظ من عيونك وجوانبك .

(1) حسين جمعة، في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغة نقدية، ص 105 .

(2) ينظر: أماني سليمان داود، الأسلوبية و الصوفية، ص 135 .

- اعلم أن القضاء من الله
- واعلم أنهم في أهم الأماكن لك وأعظمها
- احذر تضييع رأيك.
- احذر إن يعرف بعض عيونك بعضا.
- حذر إن تكل مباشرة عرضهم... إلى أحد.

فكل هذه الصيغ جاءت بخروج صيغة الأمر عن دلالة الأصلية إلى غرض التحذير، وهذا لاجتناب الأمور التي حذر من الوقوع فيها.

أما ما جاء بغرض النداء منها :

- جاهدها إن تناصرت عليك .
- يا هناه - حاول بلوغ غايتها محرراً.
- استكثر من فوائد الخير .
- تعهد من نفسك لطيف عيب.
- حاول بلوغ غايتها محرراً.

فالكاتب استخدم الأمر بأسلوب موسع و بأغراض بلاغية مختلفة وذلك لشد الأمور واغلابه بضرورة الأخذ بمطالبه والعمل بها.

ج- النهي:

ومن الأساليب الإنشائية أيضا النهي: «وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، له صيغة واحدة، وهي المضارع مع (لا) الناهية.»

وقد يأتي لطلب الكف عن الفعل شيء ما من المخاطب سواء من جهة الحقيقة او المجاز ، ويأتي بعد الأمر في الأسلوب الإنشائي الطلبي.(1)

وقد اشتملت الرسالة على أسلوب النهي والتمثيل في :

- لا تدخُله.
- لا يغلبنَّ عليك رأيك.
- لا يصلنَّ إلى مشافهتك ساع.
- لا يبدرنَّ ذلك منك خطأ.
- لا تبدرنَّ منك فرطة عقوبة.
- لا تعجل سوء الضنُّ.
- لا يكننَّ منك إفراط.
- لا يليننَّ ذلك على جندك.

فكل هذه الصيغ خرجت عن معناها الحقيقي إلى معانٍ آخر عُرفت من سياق الكلام، إذا دلَّت على النصح والإرشاد، وهذا ما خرج بالعرض من الحقيقة إلى المجاز.

و من خلال طل ما سبق يمكننا القول إن استعمال الكاتب للأساليب الإنشائية جاء ماديا للأغراض العامة للنص، كما زاد من تماسك النص وسبكه، وهذا لتعدد تعابيره.

3- اسم الفاعل واسم المفعول:

أ- اسم الفاعل:

إن اسم الفاعل من ابرز المشتقات التي وردت في رسالة عبد الحميد الكاتب، و اسم الفاعل هو اسم مشتق يدلُّ بصيغته على الحدث وعلى من أو ما اتصف بالحدث

(1) ينظر حسين جمعة، جمالية الكلمة، ص 124.

فهو يدلُّ على صفة الذي يقوم بالفعل. (1)

ومن أمثلة أسماء الفاعل التي وردة في الرسالة ، ما قاله عبد الحميد الكاتب في وصيته لعبد الله بتقوى الله عند لقاء العدو : « واشكُم نفسك بطاعة الله في مجاهدة أعدائه، وأرجو نصره.. فإنَّ طاعتك إيَّاه فيهم...عاصِمُك من كل سبَّة ، ومُنْجِيك من كل هوة، ونَاعِشُك من كل صرعة، ومَقِيلُك من كل كبوة، ودارِيُّ عنك كل شبهة، ومُذْهِبُ عنك لطفة كل شكٍ، ومَقْوَبُك... ومُعْرُك... ومُؤَيِّدُك...وكالْتُك عند كل فتنة ... وحائِطُك من كل شبهة.» (2)

فقد جاءت أسماء الأفعال للدلالة على ثبوت الوصف في الماضي و استمراره في الحاضر والمستقبل.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في قوله :

« ثم اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكرك ... مستشعراً تقوى الله وطاعته، آخِذاً بهديك و أدبك، وإقفاً عند أمرك ونهيك، معتزماً على مناصحتك...ومُرُهُ زاجراً» (3)

فقد جاءت هذه الصيغة للدلالة على ثبوت الوصف أو الحل التي يجب أن يكون عليها وليُّ العهد في توليه أمر الساقة في اختيار أوثق العسكر وأعونهم على العدو مع التوكل على الله عز وجل.

(1) ينظر: رحاب شاهر و محمد الحوامدة، الصرف الميسر، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان الأردن، ط1، 2010، ص39.

(2) القلقشدي، صح الأعشى، في صناعة الإنشاء، ص211.

(3) المصدر نفسه، ص232.

ب- اسم المفعول :

وشبيهه باسم الفاعل اسم المفعول فهو أيضا يدل على ثبوت الوصف واستمرار يته في الحاضر والمستقبل وهو : « صفة تأخذ من الفاعل المبني للمجهول للدلالة على حدوث وقع للموصوف، بها على وجه الحدوث والتجدد لا الثبوت والدوام »⁽¹⁾

ومن أمثلة استخدام اسم المفعول في الرسالة قوله : ولكن العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل، المحبب بمزية العلم وصفوته «

فاستخدام لفظ (المخصوص) و (المحبب) فيهما دلالة على ثبات كل منهما في العالم واتصافه بهما.

ومن هذا يمكننا القول إن استخدام الكاتب لهذه الصيغ من المشتقات يعكس لنا قدرته الإبداعية في استخدام الألفاظ ساء على مستواها التركيبي أو الدلالي.

ج- اسم التفضيل :

ومن المشتقات التي وردت بصورة لافتة صيغة اسم التفضيل ، واسم التفضيل هو : « الاسم المصوغ من المصدر للدلالة على شيئين اشتراكا في صفة، وزاد احدهما على الآخر في تلك الصفة، فاسم التفضيل يكون بين المفضل والمفضل عليه .»⁽²⁾

ومن أسماء التفضيل التي وردت في الرسالة قوله:

« واعلم إن الظفر ظفران : احدهما وهو اعمُّ منفعة، وابلغ في حسن الذكر قائله، و اخوطه سلامة، وأتمه عافية، وأحسنه في الأمور وأعلاه في الفضل شرفاً، وأصحه في

(1) ينظر: رحاب شاهر ومحمد حوامدة، الصرف الميسر، ص39.

(2) إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د. ط)، 2012، ص

الرواية حزمًا وأسلمه عند العامة مصدرًا.»⁽¹⁾

فقد استخدم الكاتب هذه المشتقات في تبين وتوضيح المعاني إذ جاءت هذه المميزات ملائمة للسياق المخصص لها وهو الدعوة إلى الظفر عامة و الأُمير خاصة. ومن خلال كل ما سبق ذكره يمكننا القول إن عبد الحميد الكاتب قد أبدع في أدائه وهذا بتسلسل أفكاره ووضوحها للمتلقى.

2-3- المستوى الدلالي:

من بين المداخل الأسلوبية للنص الجانب الدلالي حيث يعتبر احد مرتكزات التحليل الأسلوبي وهذا لما يعطيه من فكرة على المعجم الذي وظفه المبدع في نصّه.

1-الحقول الدلالية:

والحقل الدلالي هو: « مجموعة الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضح تحت لفظ عام يجمعها، ولكي يفهم معنى كلمة يجب أن تفهم مجموعة الكلمات المتصل بها دلاليًا، فمعنى الكلمة هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي »⁽²⁾

وقد كشفت لنا الرسالة العديد من الحقول الدلالية، إذ تنوعت في مجالات شتى من سياسة وحكم وولاية، ودين ونصح وإرشاد وهذا ما سنحاول توضيحه في الحقول الدلالية الآتية:

أ- حقل الألفاظ الدينية :

برزت الألفاظ الدينية التي تشير إلى الجانب الديني في رسالة عبد الحميد الكاتب، حيث جاءت كل هذه الألفاظ تصب في حقل الدين .

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص211.

(2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العرب للنشر و التوزيع، الكويت، ط1، 1982، ص79.

ومن ألفاظ هذا الحقل : المؤمنين، الله، تقوى الله، كتاب الله، رحمة، إبليس، استعذ بالله، هدى، الدين، رضا الله، التسبيح، التهليل، استتصار الله، الجنة، الملائكة، السلام، الكفر، القرآن، الشيطان، الحمد لله.

وفي طغيان هاته الألفاظ وسيطرتها في نص الرسالة تحمل دلالة تمسك الكاتب بالدين الإسلامي والحث على تعليمه ودرجة تفقّهه في الدين الإسلامي .

ب- حقل الألفاظ الخاص بالحكم والولاية :

شملت الرسالة جملة من الألفاظ الدلالة على هذا الحقل نذكر منها : الولاية العهد، أمير، الحكماء، حكمه، سلطنه، القدرة، هجر، الحق، يستخلف، خلافتك، خزائنك، أمورك، العقوبة، جندك جلسائك، خاصتك، بطانتك، المتولي، أمرك، قوادك، حشمتك أعوانك، أوليائك، العدل، الإنصاف شرطتك، خدمك، رعيّتك.

وكل هذه الألفاظ جاءت متصلة ببعضها للدلالة على حقل الولاية والحكم التي كانت من أعظم الأمور وجلائلها، إذا كانت سببا للنزاعات والفتن آنذاك.

ج- حقل الألفاظ الخاصة بالحرب ومعداتها :

لقد احتفلت الرسالة بالعديد من الألفاظ التي تدل على الحرب وأهوالها، ومن هذه الألفاظ : معسكرك، عدوك، الظفر، أحراسك، دباباتك، جنودك، جيشك، قائداً، خندقك حصن، العسكر، الرماح، الترسّة، الخيل، النبل، السيف، النشاب، البيض، الدروع الكتبية، السلاح، المقاتل، الفروسية، الدماء، القتل، الحملات، الكرات، الحرب، الشهداء الدروع، التأهب.

فكل هاته الألفاظ جاءت لوصف الحرب ومخلفاتها في حقل معجمي واحد، وهذا ما يعكس شدة اهتمام الحكام في عصر بني أمية بالحرب وكراتها التي أصبحت جزءاً من حياتهم آنذاك.

د- حقل الألفاظ الدالة على النصح والإرشاد :

إحتلَّ هذا الحقل حيزاً بارزاً في الرسالة إذ اشتملت العديد من النصائح والإرشادات الموجهة لعبد الله بن مروان. ومن الألفاظ التي دلت على هذا : تقديم العظمة، زغائب الأخلاق، محمود شيمة، أخلاق، الحكيم، الصدق، العفو، العفة، الشرف العز، الشكيمة، الصرامة، النزاهة، الجلد، البأس، تقديم النصيحة، الثقة، التبسم، الوقار الشهامة الفطنة، التدبير. الذكاء، المشورة، تقوى الله وطاعته، الإرشاد، الأمل، سعادة الرأي، الحزم العزم، مجاهدة هواك، تحرز من السرف الأمانة قلة التضجر

فكل هذه الألفاظ جاءت لدلالة على المعنى العام لنص والتعبير عن فحواه إذا كان في هذا دلالة على النصح والإرشاد الذي حرص الكاتب على إيصاله إلى عبد الله بن مروان وطلب الحرص عليها والعمل بها.

2-العلاقات الدلالية :

تعتبر دراسة العلاقة الدلالية من أهم مداخل البحث والتحليل الأسلوبي وهذا بتركيز على الألفاظ وما لها من تأثير على المعنى ولدراسة العلاقة الدلالية و دور هام في تحديد المقصود.

أ- الترادف :

وقد عرف العلماء المترادفات بأنه ألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.

والترادف هو استخدام الكلمات الدالة على معنى واحد ، وقد يزيد هذا في تقوية وتوكيد المعاني، كما تعكس قدرة الكاتب على تأليف الكلمات تآلف كلماته داخل السياق .

وهذا ما جاء في الرسالة التي احتوت على طائفة من المترادفات، مما ساهم في تقوية المعنى ودلالته ومنها:

(أمورك، شؤونك، أحوالك)

(أخلاقه، شيمه)، (حكمه، سلطانه)

(ينزهك، يعصمك، يحضك)

(نبتاتها، جواهرها، مصاصها).⁽¹⁾

(مكشوف، ظاهر، باديا)

(الفكاهات والحكايات والمزاح و المضاحك)

(قدح، تلهب، وقد، شرر، وميض)

(يستميلونك، يدعونك)، (تهمة، الظنة، الشبهة).⁽²⁾

ومن المترادفات أيضا :

(تضييع، إهمال)، (عقلك فكرك منطقك)

(الغيبة النميمة)، (أحايين، أوقات)

(عجلة، إسراع)، (نظره، بصره).⁽³⁾

فكل هذه المترادفات ساهمت في تقوية المعنى والدلالة وزادت في تماسك النص، وفي نفس الوقت تشير لنا بمدى بلاغة الكاتب وقدرته اللغوية النحوية والمعجمية.

ب- التضاد :

يعد التضاد من أهم العلاقات الدلالية الكاشفة عن معنى النص وسماته الأسلوبية وقدرة الكاتب اللغوية في النصوص الأدبية .

والتضاد هو : « الجمع بين الشيء وضده في الكلام »⁽¹⁾.

وقد استخدمه الكاتب في كثير من مواضع الرسالة .

– ومن أمثلة ذلك :

الكلمة	ضدها
الوالد	الولد.
العصمة	زيغ الهوى
شفاء	أمراض
صدق	تكذيب
ذميمة	محمود
سر	مكشوف
خير	شر
يمينه	شماله
الآخرة	العاجلة
الوصل	المنع
المسهل	المستصعب
الرضا	الغضب
انتباه	سنة
حضر	غاب
صغر	كبر

(1) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص303.

فاسدهم	تستصلح
نهاره	ليله
الآخرة	الدنيا
جهرًا ⁽¹⁾	سرا

فقد لجأ الكاتب في هذه التطابقات الضدية من أجل التبيين والإيضاح، وهذا لأنّ الأشياء بأضدادها تُعرف، وقد زاد هذا من تماسك نسيج النص.

ومن خلال كل ما سبق يمكننا القول إن عبد الحميد الكاتب تقنّن في رسالته وهذا لما تُضح به الرسالة من بلاغة أسلوب وفصاحته وجماليته الفنية التي تشد القارئ وتجعله يشارك الكاتب في النص.

3 : ظاهرة التناص الديني :

تعددت دلالات ومفاهيم التناص في الدراسات النقدية، وهذا لما أحدثته هذه الظاهرة اللغوية من تعدد وجهات النظر حولها، ومحاولة إعطائها تعريف محدد، فقد وقف العرب القدامى عند هذا المصطلح بمفاهيم عدة منها السرقات الأدبية، الانتحال، توارد الأفكار .

إما عند الغرب فقد ظهر التناص " intertextualte " عند جوليا كرسيفا وهو :
«الحضور الفعلي لنص في آخر»⁽²⁾

وما يهمنا في دراستنا هذه هو التناص مع القرآن الكريم الذي ورد في الرسالة و التناص مع القرآن يعني : « التفاعل مع مضامينه وأشكاله، تركيبيا ودلاليا وتوظيفهما في

(1) - القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،ص195- 233

(2) حفظ الله حسين واصل، التناص التراتب في الشعر المعاصر، أحمد عوفي أنمونجا-دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011،ص17.

النصوص الأدبية بواسطة آية من آيات شتى، ويعد هذا النوع جزء مما يسما بتناص التراتب الديني». (1).

إذا التناص مع القرآن ، هو توظيف آيات القرآن واستخدام النصوص القرآنية في النصوص الأدبية.

وهذا ما استخدمه عبد الحميد في رسالته وذلك بتوظيفه العبارات التي استمدها من آيات القرآن الكريم وتحيلنا إلى بعض منها، وهذا في قوله : فَإِنَّ الْقُرْآنَ شِفَاءُ الْقُلُوبِ مِنْ أَمْرَاضِهَا، إِحَالَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ *

و قوله تعالى أيضا في سورة فصلت: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ *

وقول الكاتب أيضا : وما الله بظلام للعبيد، تحيلنا إلى قوله تعالى ﴿وما ريك بظلام

للعبيد﴾ *

كما استخدم أيضا: استنصروه ينصركم، ففي هذا إحالة لقوله تعالى ﴿إِنْ تَنصَرَوْا

اللَّهُ يَنصَرِكُمْ﴾ *

وهذا من خلال دعوته إلى خوض المعركة والحرب مع الدعاء بالنصر من الله

كما استخدم أيضا قوله : ما سولت له نفسه الأمانة بالسوء، وفي هذا إحالة لقوله تعالى

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النِّفْسَ لِأَمَارَةَ السُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ *

(1) حفظ الله حسين واصل، التناص التراتب في الشعر المعاصر، المرجع السابق، ص 39.

*الإسراء، الآية 22.

*فصلت، الآية، 44

*فصلت، الآية، 46

*محمد، الآية، 8.

*يوسف، الآية.53.

وقوله: ما هم في تلك الحمية، التي تحيلنا إلى قوله تعالى: ﴿وقليل ما هم وذن داود
أما فتنّاه فاستغفر ربه﴾*

أما بنسبة إلى التضمين ، فقد ضمن الكاتب نص الآية كما هو ، والمتمثلة في
﴿سيعلم الذين ظلموا أي منقلب منقلبون﴾*

وقد نستنتج من كل هذه التناصات والتضمينات ما كان عليه الكاتب من تفقه في
الدين وحفظ للآيات القرآن الكريم ونصوصه ، ولعل هذا ما زاد من بلاغته وفصاحته
اللغوية.

مما سبق يمكننا القول إن هذه الدراسة كشفت عن العديد من السمات الأسلوبية التي
تميز بها نص الرسالة وهذا من خلال تحليل مستوياته مبرزتا لنا ما يزر به هذا النص
النثري من بلاغته وفصاحة أسلوب للكاتب.

*ص، الآية 24.

*النمل، الآية 227.

خاتمة

ة

قامت هذه الدراسة على العديد من الأسئلة التي عملنا على الإجابة عنها، وهي تحاول كشف جماليات رسالة عبد الحميد الكاتب " رسالة مروان إلى ابنه عبد الله " وإبراز السمات الأسلوبية للكاتب.

وبعد البحث عن هذا، توصلنا إلى جملة من النتائج المهمة نوجزها فيما يلي:

- النثر الفني ممتد مع تاريخ الأدب العربي، وكان تطوره مسيرا و مقتضيات العصر
- ازدهار النثر عامة و الترسل خاصة في العصر الأموي نظرا للحركة التي شهدها العصر من أحداث سياسية و اجتماعية.
- جاءت رسالة عبد الحميد الكاتب ب مثابة دستور في الحرب والسياسة و الأخلاق.
- شملت الرسالة العديد من البنيات الكبرى، وكل بنية تعتبر نص بذاته
- لقد وظف عبد الحميد الكاتب الأصوات في رسالته توظيفا فنيا وهذا مما زاد في تقوية الدلالة وإعطاء النص جرسا موسيقيا، زاد من تماسك النص وفي نفس الوقت فيه دلالة على انفعالات الكاتب وما يختلج نفسه من مشاعر و انفعالات.
- إن بنية الجمل المستعملة جاءت تتفق والمضمون، فكان انسجام المعنى النحوي مع الدلالي
- زخرت الرسالة بالعديد من الصياغات النحوية والتركيبية التي جاءت في خدمة المعنى العام للنص أو الرسالة.
- قوة الألفاظ وجزالتها وهذا ما يعكس لنا بلاغة الكاتب و فصاحته و قدرته الإبداعية في كتابة الرسائل.
- لقد اشتملت الرسالة العديد من حقول الدلالية والعلاقات الدلالية التي ساهمت في تقوية نسيج النص و تماسكه، وخدمة السياق الخام للنص.
- إن الاستخدام اللغوي للكاتب في جميع المستويات اللغوية للرسالة جاء كاشفا عن أسلوبه.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

● المصادر:

1. الحسن ابن عبد الله بن مهران ، (أبو هلال العسكري):
 - كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981 .
2. أبو الحسين بن زكريا القزويني، (ابن فارس):
 - مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)1979 .
3. عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين، (السيوطي):
 - المزهري في علوم اللغة و أنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ج1
4. الرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، (ابن خلدون):
 - المقدمة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1.
5. أبو طاهر مجيد بن يعقوب الشيرازي، (فيروز أبادي):
 - القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
6. أبو العباس شهاب الدين، (القلقشندي):
 - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر (د ط)1922 ج1 ، ج9 ، ج10
7. عز الدين أبي الحسن الجرزي الموصلني، (ابن الأثير):
 - المثل السار في أدب الكاتب و الشاعر تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د ط).
8. أبو عمر أحمد محمد، (ابن عبد ربه):
 - العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ط) 1982، ج4 .

9. أبو الفتح عثمان، (ابن جني):

- الخصائص، تحقيق محمد عبد النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (ط د)
(د ت)

10. أبو الفضل جمال الدين بم مكرم، (ابن منظور):

- لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط₁ ، 1997، ج₁
مادة(نثر).

11. أبو محمد الدينوري، (ابن قتيبة):

- نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط د) 1995.
- المراجع:

المراجع بالعربية:

1. إبراهيم علي أبو خشب، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، (د.ت).
2. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة إسطنبول، تركيا، (د ط)
1989.
3. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، إدارة الكتاب العلمية بيروت، لبنان، ط₃₅ ، 1996، ج₁ .
4. أحمد الهاشمي جواهر البلاغة في الأصالة والحداثة، منشورات، إتحاد كتاب العرب، صيدا، لبنان، 2003.
5. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار لبنان، المعرفة، بيروت، ط₂
6. مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العرب للنشر والتوزيع، الكويت، ط₁ 1982، الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الخانجي القاهرة مصر، ط₁ ، 1997.
7. أماني سليمان داود، الأسلوبية و الصوفية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط₁ 2002.

8. بشير تاويريريت ، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر لطباعة و النشر، قسنطينة ، الجزائر، 2006.
9. البشير مصطفى قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ، (د ط)2009.
10. حسين جمعة، في جمالية الكلمة، جدار الكتاب، عمان، الأردن، ط₁ ، 2008.
11. حفظ الله حسين واصل، النص التراثي في الشعر العربي المعاصر، أحمد العويضي أنموذجا دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط₁، 2011
12. عبد الحلیم حسین الهروط، النثر الفني عند لسان الدين الخطيب، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط₁ ، 2006.
13. حميد آدم الثويبي، فن الأسلوب (دراسة و تطبيق)، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2006.
14. حنا الفاخوري، الموجز في تاريخ الأدب العربي وتاريخه، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط₁ ، 1991.
14. خالد الحلبوني، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة السورية دمشق، سوريا، ط₁، 2010
15. رحاب شاهر و محمد حوامدة، الصرف الميسر، دار صفاء لنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط₁، 2010
16. زبير دراقي، المستقصى في الأدب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 1995.
17. الزوزني: أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، العلمة، الجزائر، ط₁، 2010.

18. زيدان الجرجي، تاريخ الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
19. شوقي ضيف:
- الفن ومذاهبه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، 1970.
 - تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي، مصر، ط6، 1984.
20. عثمان موافي، من قضايا الشعر والنثر العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 2002، ج1.
21. عرفة حلمي عباس، نقد النثر (النظرية والتطبيق)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
22. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
23. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ج1.
24. عمر عروة، النثر الفني القديم أبرز فنونه وأعلامه، دار القصة للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
25. فضل الله حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1987.
26. فهد الخليل زايد، الحروف معانيها مخارجها وأصواتها في لغتنا العربية، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط)، (د.ت).
27. كوليزار كاكال، عزيز، دلالات أصوات اللين في اللغة العربية، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2009.

28. محمد مرتاض، قراءة جديدة للنثر العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 2012.

29. عبد المنعم خفاجي:

• الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

المراجع المترجمة:

1. بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2006.

• الرسائل الجامعية:

2. فيصل حسين طحيمر العلي، الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2001.

فهرس
الموضو
عات

• مقدمة..... (أ ب ج)

مدخل: النثر الفني عند العرب

1.1 النثر الفني لغة و اصطلاحا.....7-6

1.2 نشأة النثر الفني.....25-8

1.3 النثر في لعصر الجاهلي.....16-8

1.4 النثر في عصر صدر الإسلام.....16-20

1.5 النثر في العصر الأموي.....20-25

الفصل الثاني: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب

2.1 الترسل لغة واصطلاحا.....32-27

2.2 أنواع الترسل.....40 -32

2.3 أسلوب عبد الحميد الكاتب.....46 -40

2.4 أهم رسائل عبد الحميد الكاتب.....50-47

الفصل الثاني: دراسة أسلوبية لرسالة مروان لابنه.

3.1 توطئة.....52

3.2 تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا.....54-52

3.3 المستوى الصوتي.....61-54

3.4 المستوى التركيبي.....71-61

3.5 المستوى الدلالي.....79-71

• خاتمة.....81

• المصادر والمراجع.....87-83

• فهرس الموضوعات.....89